تخطي الميتافيزيقا

مارتن هيدجر
ترجمة : إسماعيل الصدق

-1-

ما معنى "تخطي[1] الميتافزيقا"؟ يُستعمل هذا المصطلح في فهم تاريخ الوجود كمجرد وسيلة مساعدة تمكّنه من أن يجعل ذاته مفهوماً، والحقيقة أن هذا المصطلح يثير أشكالاً كثيرة من سوء الفهم؛ فهو لا يسمح للتجربة بأن تبلغ الأساس الذي انطلاقاً منه فقط يكشف تاريخُ الوجود ماهيتَه، إنه الخصوصية das Er-eignis التي يتبدل فيها [2] الكون ذاته،ولا يعنى التخطي خاصة إقصاء مادة دراسية من ميدان "التكوين" الفلسفي، ف"الميتافيزيقا" يتم فهمها كقدر لحقيقة الكائن، أي للكائنية [3] كحدوث مازال خفياً ولكنه متميز، وبالضبط كحدوث لنسيان الكون.

إذا اعتبرنا أن التخطى هو من صنع الفلسفة، فإن المصطلح الأكثر ملاءمة سيكون هو: مضي الميتافيزيقا. والواقع أن هذا المصطلح يثير أغاليط جديدة، ويعنى المضي هنا أن تمضى الميتافيزيقا وأن تدخل إلى مجال الماضي die Gewesenheit عندما تمضي الميتافيزيقا فإنها تكون شيئا ماضياً[4]، إن مضي الميتافيزيقا لا ينفى، بل يتضمن أنها لم تبدأ إلا الآن سيطرتها اللامشروطة في الكائن ذاته وفي شكل الواقع والموضوعات الخالي من الحقيقة من حيث هو الكائن ذاته، إذا تمت تجربة الميتافيزيقا انطلاقاً من فجر البدء، فإن مضيها يعنى في الوقت نفسه أنها دخلت إلى طور انتهائها[5]. يدوم الانتهاء زمناً أطول من التاريخ الذي طوته الميتافيزيقا حتى الآن.

-2-

لا يمكن أن نتحلل من الميتافيزيقا كما نتحلل من وجهة نظر، ولا يمكن بتاتاً أن نتركها وراءنا كما لو كانت مجموعة من التعاليم لم يعد أحد يعتقد فيها أو يدافع عنها.

إذا كان يجب على الإنسان كحيوان عاقل animal rationale، وهذا ما يعني الآن ككائن حي عامل، أن يهيم تائهاً في قفر الأرض المخربة[6]، فذلك قد يمكن أن يكون علامة على أن

الميتافيزيقا تحدث انطلاقاً من الوجود وأن تخطيها يحدث كتبدل verwindung للكون. فالعمل (راجع إ.يونجر E. Jünger، العامل"1922) يحتل اليوم المرتبة الميتافيزيقية للموضعة اللامشروطة لكل ما هو حاضر وما يبدو في ضوء إرادة الإرادة[7]. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه لا يحق لنا أن نظن، على أساس تخمين انتهاء الميتافيزيقا، أننا نقوم خارجها، فالميتافيزيقا لا تنمحي عندما يتم تخطيها، إنها تعود من جديد في شكل مغاير وتبقى في موقع السيطرة بصفتها الاختلاف الذي لا يزال ساري المفعول بين الكون والكائن[8].

يعني أفول حقيقة الكائن أن تجلي الكائن ـ الكائن فقط [9] ـ يفقد تفرده إلى الآن في ادعاء المكانة الحاسمة.

-3-

يحدث أفول حقيقة الكائن ضرورة، وبالضبط كاكتمال للميتافيزيقا.

يتم الأفول في الوقت نفسه من خلال انهيار العالم المطبوع بطابع الميتافيزيقا ومن خلال تخريب الأرض الناشئ عن الميتافيزيقا.

يجد الانهيار والتخريب تحققهما المناسب في أن إنسان الميتافيزيقا، الحيوان العاقل animal ratioanale، قد تم تثبيته كحيوان عامل.

هذا التثبيث يؤكد العمى الأقصى إزاء نسيان الكون، ولكن الإنسان يريد ذاته كمتحكم في إرادة الإرادة أصبحت كل حقيقة بالنسبة له هي ذلك الخطأ الذي يحتاج إليه لكي يستطيع أن يؤمِّنَ أمام ذاته ضلاله عن أن إرادة الإرداة لا يمكن أن تريد شيئاً أخر غير العدم السلبي [10] الذي يؤكد ذاته إزاءه دون أن يتمكن من معرفة فقدانه التام لكل قيمة.

قبل أن يتمكن الكون من أن يحدث في حقيقته البدئية يجب أن ينكسر الكون كإرادة، يجب أن يُرغم العالم على الانهيار والأرض على التخريب والإنسان على مجرد العمل [11]، إنه فقط بعد هذا الأفول يحدث في زمن طويل حينُ البدءِ المفاجئُ، في الأفول يبلغ الكلُّ، أي الكائن في كليته كما هو حسب حقيقة الميتافيزيقا، نهايته.

لقد حدث الأفول بالفعل، حيث إن نتائج هذا الحدوث هي معطيات تاريخ العالم في هذا القرن، وهذه المعطيات لا تعطى سوى انقضاء ما تم انتهاؤه، ومساره ينظمُّ تاريخياً ـ تقنيا ـ حسب معنى الطور الأخير من الميتافيزيقا، هذا التنظيم هو الترتيب الأخير لما تم انتهاؤه في مظهر واقع فعلي يؤثر فعله بكيفية لا تقاوم لأنه يدعى أن بإمكانه الاستغناء عن انكشاف ماهية الوجود، وذلك بشكل قاطع إلى حد أنه لا يحتاج إلى أن يدرى شيئاً عن هذا الانكشاف.

تبقى حقيقة الكون، التي ما زالت خفية، ممتنعة عن بشرية الميتافيزيقا، إن الحيوان العامل مستسلم لنشوة صنائعه حتى يمزق ذاته ويدمرها في العدم السلبي.

-4-

إلى أي حد تنتمي الميتافيزيقا لطبيعة الإنسان؟ الإنسان كما تتصوره الميتافيزيقا، هو أولاً كائنٌ ضمن آخر مزودٌ بقدرات، إن الكائن الذي هو بهذه الكيفية ـ وتلك طبيعته ـ ماذا يكون؟ وكيف يكون: كل ذلك هو في ذاته ميتافيزيقي: حيوان animal (حساسية) وعاقلٍ rationale (غيرحسي). يبقى الإنسان وهو محدد على النحو داخل الأفق الميتافيزيقي ـ أسيراً للاختلاف الذي لم تتم تجربته بين الكائن والكون، إن كيفية التمثل المطبوعة بطابع الميتافيزيقا لا تجد أمامها في أي مكان سوى العالم المبنى ميتافيزيقياً. وعليه فالميتافيزيقا تنتمي إلى طبيعة الإنسان، لكن ما هي الطبيعة ذاتها؟ ما هي الميتافيزيقا ذاتها؟ من هو الإنسان ذاته داخل هذه الميتافيزيقا الطبيعية؟ هل هو مجرد "أنا" لا يترسخ في أنويته[12] إلا بالرجوع إلى "أنت" لأنه بذل يترسخ في العلاقة أنا ـ أنت؟

إن الأنا أفكر ego cogito هو بالنسبة لديكارت ما يتم تمثله واستحضاره في كل الأفكار Cogitationes، هو الحاضر، الذي لايمكن أن يكون موضع سؤال أو شك، القائم مسبقاً في كل معرفة، هو اليقيني حقا، الراسخ قبل كل شيء، بصفته ذلك الذي يضع الكل تجاهه أي إزاء آخر[13].

ينتمي للموضوع في الوقت نفسه مقومات ماهية ما يقوم أمامنا (essentia possibilitas)، الماهية كإمكانية) وقيام ما يقوم أمامنا existentia)، الوجود). الموضوع هو وحدة قيام المقومات[14]، وتتعلق مقومات الماهية في قيامها أساساً بالإقامة التي ينجزها التمثل بصفته جعل الشيء يمثل بكيفية أكيدة أمام الذات، الموضوع الأصلي هو الموضوعية ذاتها، والموضوعية الأصلية هي الـ "أنا أفكر" بمعنى أنا أتمثل percepiere الذي يضع ذاته ويكون قد وضعها قبل كل ما يمكن تمثله والذي هو حامل: 15 (subiectum) إن الذات subjekt هي، حسب نظام التكوُّن الترنسندنتالي للموضوع، الموضوعُ الأول للتمثل الأنطولوجي.

أنا أفكر ego cogito تعنى "أفكر: إنني أفكر[16] (Cogito: me cogitare).

-5-

الوجه الحديث للأنطولوجيا هو الفلسفة الترنسدنتالية التي أصبحت نظرية المعرفة.
كيف أمكن أن ينشأ ذلك في الميتافيزيقا الحديثة؟ هذا راجع إلى أن كائنية الكائن تم تفكيرها كحضور لأجل التمثل المؤمِّن، والكائنية الآن هي الموضوعية[17]، إن السؤال عن الموضوعية، عن إمكانية قيام الشيء إزاءنا (أي عن التمثل الحاسب المؤمن) هو السؤال عن إمكانية المعرفة.

لكن هذا السؤال لا يُفهم في الحقيقة كسؤال عن الآلية الفيزيائية ـ النفسية لسير المعرفة، بل عن إمكانية حضور الموضوع في المعرفة ومن أجلها.

"نظرية المعرفة" هي نظر theoria، بحيث إن الكائن on يُفكَّر كموضوع ويُسأل عنه من حيث موضوعيته وما يجعل هذه الموضوعية ممكنة: he on من حيث هو كائن).

كيف يؤمِّن "كانط" من خلال الإشكالية الترنسدنتالية ما هو ميتافيزيقي في الميتافيزيقا الحديثة؟ حيث إن الحقيقة تصبح يقيناً وأن كائنيته[18] (ousia) الكائن تتحول بذلك إلى موضوعية لتمثل perceptio وتفكير cogitatio الوعي والمعرفة، فإن العلم والمعرفة ينتقلان إلى مضوع الصدارة.

إن "نظرية المعرفة" وما يسمى كذلك هي في الواقع الميتافيزيقا والأنطولوجيا المؤسسة على الحقيقة كيقين للتمثل المؤمن.

أما تأويل "نظرية المعرفة" كتفسير لـ "المعرفة" وكـ "نظرية" للعلوم فهو تأويل خاطئ، رغم أن محاولة التأمين هذه هي مجرد نتيجة لتأويل الكون كموضوعية وتمثُّلية[19].

"نظرية المعرفة" هي عنوان العجز الأساسي المتنامي للميتافيزيقا الحديثة عن معرفة ماهيتها الخاصة وأساس هذه الماهية، وإن الحديث عن "ميتافيزيقا المعرفة" يقع في نفس سوء الفهم. يتعلق الأمر في الحقيقة بميتافيزيقا الموضوع، أي الكائن كموضوع، كموضوع من أجل الذات.

إن الوجه الآخر لسوء التأويل التجريبي ـ الوضعي لنظرية المعرفة يفصح عن ذاته في تزايد مكانة اللوجستيقا.

-6-

يبتدئ اكتمال الميتافيزيقا مع ميتافيزيقا "هيجل" للمعرفة المطلقة كإرادة للروح.

لماذا تمثل هذه الميتافيزيقا بداية الاكتمال فقط وليس الاكتمال ذاته؟ ألم يبلغ اليقينُ اللامشروطُ ذاتَه بصفته الواقع المطلق؟

أما زالت أمام الميتافيزيقا إمكانية أخرى للسير فيما وراء ذاتها ؟ هذا غير مرجح· لكن إمكانية النفاذ اللامشروط إلى ذاتها كإرادة للحياة لم تتحق بعد[20]، إن الإرادة لم تظهر بعد كإرادة للإرادة في واقعها الذي أعد من قبلها، ولهذا فإن الميتافيزيقا لم تكتمل بعد مع الميتافيزيقا المطلقة للروح.

رغم الثرثرة السطحية عن انهيار الفلسفة الهيجلية يبقي صحيحاً أن هذه الفلسفة هي وحدها التي حددت الواقع في القرن التاسع عشر، لكنها لم تحدده بشكل خارجي كتعاليم يتم اتباعها، بل كميتافيزيقا، كسيطرة للكائنية بمعنى اليقين، إن الحركات المضادة لهذه

الميتافيزيقا تنتمي إليها. منذ موت هيجل(1831) ليس هناك سوى حركات مضادة، ليس في ألمانيا فقط، بل في أوربا.

-7-

مما يميز الميتافيزيقا أنه إذا ما حدث أن عالجت الوجود existentia، فإن ذلك يكون دائما بإيجاز وكما لو كان الوجود أمراً بديهيا، (قارن التنسير الهزيل لمصادرة الواقع في "نقد العقل الخالص" لـ كانط) الاستثناء الوحيد يمثله "أرسطو" الذي أمعن الفكر في الـ enérgeia الوجود بالفعل، دون أن يتمكن هذا التفكير أبداً في المستقبل من أن يصبح في أصليته أساسياً، إن تحول الـ Enérgeoia إلى Actualitas وإلى واقع Wirklichkeit قد طمس كل ما برز في الـ Enérgeoia [21]، وهكذا أصبح الارتباط بين ousia و enérgia غامضا، لم يتم من جديد إمعان الفكر في الوجود existentia إلا مع هيجل، لكن ذلك كان في مؤلفه "المنطق"، شلينج فكره في التمييز بين الأساس والوجود، إلا أن ذلك التمييز يتجذر في الكون المميز للحامل subjektitat [22].

في قصر الكون على "الطبيعة" يظهر صدى متأخر ومبهم للكون كـ phusis

العقل والحرية يوضعان في مقابل الطبيعة، نظراً لأن الطبيعة هي الكائن فإنه لا يتم تفكير الحرية والوجوب ككون هكذا نبقى عند التعارض بين الكون والوجوب، بين الكون والقيمة، وحالما تبلغ الإرادة لا ماهيتها القصوى، ويصبح أخيراً الكون ذاته أيضاً مجرد "قيمة" [23] تفكر كشرط للإرادة.

-8-

تمثل الميتافيزيقا في كل أشكالها ومراحلها التاريخية قضاء [24] واحدا، لكن ربما أيضاً قضاء الغرب الضروري وشرط سيطرته الكونية، وإرادة هذه السيطرة يرتد تأثيرها الآن إلى مركز الغرب، وانطلاقاً من هذا المركز لا يحدث أيضاً سوى أن تردَّ من جديد إرادة على الإرادة. إن انتشار السيطرة اللامشروطة للميتافيزيقا ما زال في بدايته. تحل هذه البداية عندما تقبل الميتافيزيقا ا للاماهية [25] التي توازيها وتسلم لها ماهيتها وترسخها فيها.

الميتافيزيقا هي قضاء بالمعنى الصارم المقصود وحده هنا، وهو أنها كسمة أساسية للتاريخ الغربي ـ الأوربي، تجعل البشريات معلقة [26] وسط الكائن دون أن يكون من الممكن أبداً انطلاقاً من الميتافيزيقا وبواسطتها تجربة كون الكائن كاختلاف [27] بينهما في حقيقته ومساءلة هذا الاختلاف وهيكلته.

لكن هذا القضاء الذي ينبغي تفكيره انطلاقاً من تاريخ الكون ضروري، لأن الكون ذاته لا يمكن أن يضيء الاختلاف المصون فيه بين الكون والكائن في حقيقته إلا إذا حدث الاختلاف صراحة، ولكن أنَّى له ذلك إذا لم يبلغ الكائن، قبل ذلك، النسيان الأقصى للوجود ولم يتولَّ

الكون في الوقت نفسه سيطرته اللامشروطة، والتي لا يمكن التعرف عليها ميتافيزيقيا، كإرادة للإرادة تفرض ذاتها أولاً وفقط من خلال الأسبقية الاستثنائية للكائن (للواقع كموضوع) إزاء الكون ؟

هكذا فإن ما يختلف في الاختلاف يقدم ذاته بكيفية ما ويحتفظ بذاته مع ذلك مختفياً في تنكر غريب، ولهذا يبقى الاختلاف ذاته محتجباً، ورد الفعل الميتافيزيقي ـ التقني على الألم ـ الذي يحدد مسبقاً في الوقت نفسه ماهيته ـ هو علامة على ذلك.

مع بداية اكتمال الميتافيزيقا يبدأ التمهيد المجهول، الذي لا يمكن أساساً أن تنفذ إليه الميتافيزيقا، ولظهور الاختلاف بين الكون والكائن، في هذا الظهور ما زال يختفي الصدى الأول لحقيقة الكون التي تسترجع أسبقية الكون في سيادته.

-9-

يتم فهم تخطي الميتافيزيقا انطلاقاً من تاريخ الكون، إنه العلامة المبكرة لبدء تبدل نسيان الكون[28]، وما يتبدى في العلامة الباكرة هو أسبق منها على الرغم من أنه أيضاً أكثر خفاءً منها، فهو حيث إن ما يبدو ـ حسب كيفية تفكير الميتافيزيقا كعلامة مبكرة لشيء آخر ـ لايبقى له أي اعتبار إلا كمجرد مظهر أخير لانفراج[29] أكثر بدئية، ولا يبقى التخطى جديراً بالتفكير إلا عندما يتم التفكير في التبدل Verwindungهذا التفكير الملحاح يفكر في الوقت نفسه أيضاً في التخطى، هذا التفكير يجرب الحدث الفريد لتجريد الكائن من مكانته، هذا الحدث الذي تضاء فيه محنة حقيقة الكون، وبالتالي بدئية الحقيقة، بضوء يغلب على ضوء الكائن البشري كما لو كان يودعه، التخطي هو تسليم الميتافيزيقا إلى حقيقتها[30].

يمكن للوهلة الأولى تصور تخطي الميتافيزيقا انطلاقاً من الميتافيزيقا ذاتها فقط في شكل ارتفاعها فوق ذاتها بواسطتها هي ذاتها إذا جاز التعبير، وفي هذه الحالة يكون من المشروع الحديث عن ميتافيزيقا الميتافيزيقا الذي تمت ملامسته في مؤلف "كانط ومشكلة الميتافيزيقا" عند محاولة تأويل الفكرة الكانطية، التي نشأت عن مجرد نقد الميتافيزيقا العقلية فقط، من هذه الزاوية، إلا أنه قد تم بذلك تحميل تفكير كانط أكثر مما يستطيع أن يفكره هو ذاته في حدود فلسفته.

كما يمكن أن يتخذ الحديث عن تخطى الميتافيزيقا أيضاً دلالة أخرى تبقى حسبها "الميتافيزيقا" اسماً للأفلاطونية التي تعرَّف عليها العالم الحديث من خلال تأويل "شوبنهاور ونيتشه". إن قلب الأفلاطونية، الذي بمقتضاه أصبح الحسي حسب "نيتشه" هو العالم الحقيقي والفوق حسي هو العالم اللاحقيقي، يبقى لا ريب داخل الميتافيزيقا، وهذا النوع من تخطى الميتافيزيقا الذي استهدفه "نيتشه"، وذلك وفقاً لفهم النزعة الوضعية للقرن التاسع عشر، ليس سوى التورط النهائي في الميتافيزيقا، وإن تم تحويلها إلى شكل أعلى. صحيح أنه يظهر كما لو أن "الميتا"، الماوراء، التعالي نحو اللاحسي قد تمت تنحيته لصالح البقاء في المجال

الأولى الذي تمثله الحساسية، في حين أنه لم يتم بالفعل إلا اكتمال نسيان الكون وإطلاق العنان للاحسي ومزاولته بصفته إرادة القوة[31].

تمنع إرادة الإرادة كل قدر، دون أن تتمكن من معرفة هذا المنع وأن تسمح بمعرفة حوله، ونعني بالقدر هنا قدوم تجل لكون الكائن، إن إرادة الإرادة تجعل كل شيء متحجراً في ما هو غير قدري، ونتيجة هذا الأخير هو اللاتاريخية التي علامتها هي سيطرة علم التاريخ الذي تمثل النزعة التاريخية ارتباكه[32]، فلو أراد المرء أن يفهم تاريخ الكون حسب تصور علم التاريخ المتداول اليوم فإنه سيؤكد بهذه العملية المغلوطة سيطرة نسيان قدر الكون بأوضح كيفية.

إن عصر الميتافيزيقا المكتملة هو في بدايته.

تفرض إرادة الإرادة على ذاتها حساب وتنظيم كل شيء كشكلين أساسين لظهورها، لكن ذلك فقط من أجل تأمين ذاتها تأميناً يمكن مواصلته بكيفية لامشروطة.

إن شكل الظهور الأساسي الذي فيه إذن تنظم وتحسب إرادةُ الإرادة ذاتَها في العالم اللاتاريخي للميتافيزيقا المكتملة يمكن تسميته بإيجاز"التقنية". ويشمل هذا الاسم هنا كل قطاعات الكائن التي تجهز في كل حالة كلية الكائن:الطبيعة الموضعة،الثقافة المنظمة، السياسة المصنوعة والمثل العليا الموضوعة، ولا تعنى "التقنية" هنا القطاعات المعزولة للإنتاج والتجهيز الآليين، وهذه الأخيرة لها طبعاً مكانة خاصة يجب تحديدها عن كثب تتأسس على أسبقية ما هو مادي، أي ما يُزعم أنه أولي وموضوعي في المقام الأول.

يفهم اسم"التقنية"هنا بكيفية أساسية بحيث إنه يتطابق في دلالته مع مصطلح الميتافيزيقا المكتملة، إنه يتضمن تذكيراً بالـ téchne التي هي شرط أساسي لانتشار ماهية الميتافيزيقا عموماً[33]، وفي الوقت نفسه يسمح هذا الاسم بتفكير كونية اكتمال الميتافيزيقا وسيطرته دون اعتبار للأشكال المختلفة التي يمكن رصدها تاريخياً عند الشعوب والقارات.

-11-

تعبر ميتافيزيقا "نيتشه" في إرادة القوة عن الدرجة قبل الأخيرة لانتشار إرادة كائنية الكائن كإرادة للإرادة، يجب غياب الدرجة الأخيرة أساسه في هيمنة السيكولوجيا"، وفي مفهوم النفوذ والقوة، وفي الحماس للحياة، ولهذا يفتقد هذا التفكيرُ صرامة المفهوم ودقته وهدوء التمعن التاريخي، ويهيمن علم التاريخ ومعه التبرير والسجال.

ما الذي جعل ميتافيزيقا نيتشه تقود إلى الاستخفاف بالتفكير استنادا إلى الحياة"؟ يرجع ذلك إلى أن المرء لم يدرك كيف أن تأمين الوجودِ المتمثَّلَ ـ المخطَطَ (القائم على القوة) هو ـ حسب تعاليم "نيتشه" ـ أساسي لـ "الحياة" مثل "الازدياد" والارتقاء، وهذا ذاته لم ينظر إليه إلا (سيكولوجيا) من ناحية النشوة، وأيضاً ليس من الزاوية الحاسمة التي بمقتضاها يقدم الباعث

الحق المتجدد لتأمين الوجود كما يقدم في الوقت نفسه المبرر للازدياد، وهكذا فإن ما ينتمي لإرادة القوة هو السيطرة اللامشروطة للعقل الحاسب وليس ضبابية وبلبلة هيجان غامض للحياة، إن التبجيل المضلل لفا جنر wagner أحاط تفكير "نيتشه" والدراسات التي أنجزت حوله بهالة "فنية" مما أهل العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، بعد حركة سخرية "شوبنهاور" من الفلسفة (أي من فلسفة هيجل وشلينج) وبعد تأويله السطحي لأفلاطون وكانط، لحماس يتخذ من سطحية وضبابية اللاتاريخية لوحدهما علامة على ما هو حقيقي.
لكن لا يكمن وراء كل ذلك إلا العجز عن التفكير انطلاقاً من ماهية الميتافيزيقا وعن معرفة مدى أهمية تغير ماهية الحقيقة والمعنى التاريخي لانبعاث سيادة الحقيقة كيقين وعن تفكير ميتافيزيقا "نيتشه"، انطلاقا من هذه المعرفة، بإعادتها إلى المسارات البسيطة للميتافزيقا الحديثة، بدل تحويلها إلى ظاهرة أدبية تهيج العقول أكثر مما تطهرها وتدهشها، بل ربما تفزعها، وأخيرا فإن ولع "نيتشه" بالمبدعين يكشف عن أنه يفكر تماماً بكيفية العصر الحديث انطلاقاً من العبقرية والعبقري وبكيفية تقنية انطلاقاً من قدرة الإنجاز، إن القيمتين المؤسستين في مفهوم إرادة القوة (الحقيقة والفن) هما مجرد تعبيرين عن "التقنية" في معناها الأساسي للتأمين المخطط ـ الحاسب للوجود كإنجاز وعن إبداع "الخلاقين" الذي يحملون للحياة فيما وراء الحياة الخاصة مثيراً جديدا ويؤمنون مزاولة الثقافة[34].

كل ذلك يبقى في خدمة إرادة القوة، لكنه يعوق أيضاً ولوج ماهيتها إلى الضوء الواضح للمعرفة الأساسية البعيدة المدى التي لا يمكن أن يكون منبعها إلا في تفكير تاريخ الكون.

لا يمكن إدراك ماهية إرادة القوة إلا انطلاقاً من إرادة الإرادة، لكن هذه لا يمكن تجربتها إلا إذا دخلت الميتافيزيقا إلى طور الانتقال.

-12-

توجد ميتافيزيقا إرادة القوة لـ "نيتشه" بشكل جنيني في هذه الجملة: "كان الإغريقي يعرف أهوال الوجود وويلاته ويحس بها: لكي يتمكن عموماً من أن يعيش كان عليه أن يضع إزاءها حلم الأولمبيين البهي" (سقراط والتراجيديا الإغريقية"، الفصل الثالث، 1871. الصياغة الأصلية لـ "ولادة التراجيديا من روح الموسيقى"، ميونيخ1933).
هنا تم وضع تقابل بين "الجبار" و"البربري"، بين "المتوحش" و"الغريزي" من جهة وبين الإشراق الجميل والجليل من جهة أخرى.

يكمن في ذلك مسبقا أن "الإرادة تحتاج في الوقت نفسه إلى تأمين الوجود والارتقاء، وإن لم يتم بعد تفكير ذلك وتمييزه بوضوح ولم تتم انطلاقاً من أساس موحد، ولكن مازال خفياً أن الإرادة هي إرادة القوة. فنظرية "شوبنهاور" في الإرادة هيمنت على تفكير "نيتشه" في البداية، وكتب تصدير هذا المؤلف في "ذكرى ميلاد "شوبنهاور".

مع ميتافيزيقا نيتشه تكون الفلسفة قد اكتملت، وهذا يعنى أنها استنفدت دائرة الإمكانيات المرسومة فيها، إن الميتافيزيقا المكتملة، التي هي أساس الأسلوب الكوني في التفكير تحدد شكل نظام للأرض من الراجح أن يدوم طويلا، ولم يبق النظام محتاجا إلى الفلسفة لأنها قائمة في أساسه، لكن مع نهاية الفلسفة لايكون التفكير قد بلغ هو أيضا نهايته، بل يكون في طور العبور إلى بدء آخر.

-13-

كتب نيتشه سنة 1886 في ملاحظاته عن القسم الرابع من "هكذا تكلم زرادشت" : سنقوم بتجربة على الحقيقة ! ربما تهلك البشرية من جراء ذلك! فليكن! (المؤلفات الكاملة (12)، ص 307).

تقول ملاحظة ترجع إلى زمن "شفق الصباح" (81 – 1880) " الجديد في موقفنا الحالي من الفلسفة هو اقتناع لم يكن بعد لدى أي عصر: وهو أننا لا نمتلك الحقيقة. كل الناس السابقين كانوا يمتلكون الحقيقة، حتى الشكاك" (المؤلفات الكاملة (11). ص 268).

ماذا يعنى "نيتشه" عندما يتكلم هنا وهناك عن "الحقيقة"؟ هل يعنى "الحقيقي" وهل يفكره بصفته الكائن الواقعي أو بصفته ما يتوفر على صلاحية في كل حكم وسلوك وحياة ؟
ما معنى أن نقوم بتجربة على الحقيقة ؟ هل يعنى ذلك اقتراح إرادة القوة في العود الأبدي للشيء نفسه بصفتها الكائن بحق؟

هل يطرح هذا التفكير مطلقاً السؤال عن أين تقوم ماهية الحقيقة وانطلاقاً من ماذا تحدث حقيقة الماهية ؟

-14-

كيف أصبحت الموضوعية تشكل ماهية الكائن بما هو كذلك ؟

يتصور المرء "الكون" كموضوعية ثم انطلاقاً من ذلك يجهد نفسه بصدد "الكائن في ذاته"، حيث إن ما ينساه المرء فقط هو أن يسأل وأن يقول ماذا يعني هنا بـ "كائن" وبـ "في ذاته".

ماذا "يكون" الكون؟ هل يحق لنا أن نستقصي"الكون" عن ماذا يكون؟ يبقى الكون غير مسؤول عنه بديهياً ولذلك غير مفكر، إنه يبقى في حقيقة منسية منذ زمن طويل وليس لها أساس.

-15-

ليس هناك موضوع بمعنى ما يوضع إلا عندما يصبح الإنسان ذاتاً والذات أنا وعندما يصبح الأنا أنا أفكر ego cogito، إلا عندما يدرك هذا التفكير cogitare في ماهيته كـ "وحدة تركيبية أصلية للوعي الترنسندنتالي بالذات"، إلا عندما يتم بلوغ النقطة العليا للمنطق[35] (في

الحقيقة مفهومة كيقين لـ "أنا أفكر)، هنا فقط تنكشف ماهية الموضوع في موضوعيته، وهنا فقط يصبح نتيجةً لذلك إدراكُ الموضوعية ذاتها بصفتها "الموضوع الحقيقي الجديد " وتفكيرُها إلى اللامشروط أمراً ممكناً ولا مناص منه.

-16-

هناك تلازم بين الكون المميز للحامل subjektität والموضوع والانعكاس Réflexion إنه فقط عندما تتم تجربة الانعكاس بما هو كذلك، وبالضبط بصفته علاقة حاملة بالكائن، يصبح من الممكن تحديد الكون كموضوعية.

لكن تجربة الانعكاس بصفته هذه العلاقة تفترض تجربة العلاقة بالكائن عموماً كـ repraesentatio : كتمثل Vor-stellen.

إلا أن ذلك لا يمكن أن يصبح قدراً إلا إذا تحولت الـ idea إلى perceptio. هذا التحول يقوم على أساس تحول الحقيقة كمطابقة إلى الحقيقة كيقين تبقى فيه المطابقة adaequatio قائمة، حيث إن اليقين كتأمين للذات (إرادة الذات لذاتها)هو العدالةjustitia كتبرير للعلاقة القائمة بالكائن وسببه الأول وبالتالي للانتماء للكائن، أن التبريرjustification بمعنى حركة الإصلاح الديني ومفهوم "نيتشه" للعدالة كحقيقة هما الشيء نفسه [36].

يتأسس التمثل repraesentatio من حيث الماهية على الانعكاس reflexio، لهذا فإن ماهية الموضوعية بما هي كذلك لا تصبح جلية إلا عندما تتم معرفة ماهية التفكير بصفته "أنا أكفر شيئا"، أي كانعكاس وعندما يتم إنجازها بكيفية صريحة.

-17-

يوجد "كانط" على الطريق لتفكير ماهية الانعكاس بالمعنى الترنسندنتالي، أي الأنطولوجي، ويتخذ ذلك شكل ملاحظة جانبية بسيطة في "نقد العقل الخالص" تحت عنوان "حول ثنائية مفاهيم الانعكاس"، وهذا المقطع تمت إضافته بعدياً، لكنه مليء برؤية أساسية وبجدال أساسي مع "لايبنتس" leibniz وبالتالي مع كل الميتافيزيقا السابقة كما هي ماثلة لنظر "كانط" وكما تتأسس في بنيتها الأنطولوجية على الأنوية.

-18-

يبدو لمن ينظر من الخارج أن الأنوية هي مجرد تعميم وتجريد لاحقين للأنوي انطلاقاً من الأنات المفردة للإنسان، وواضح أن ديكارت يفكر قبل كل شيء "أناه" هو ذاته كشخص مفرد (شيء مفكر rescogitans كجوهر نهائي substantia finita) في حين أن كانط يفهم حقاً "الوعي عموماً". لكن ديكارت يفهم هو أيضاً أناه الخاص في ضوء الأنوية التي لم يتم ـ طبعاً ـ

تصورها بعد بكيفية صريحة، هذه الأنوية تبدو مسبقاً في صورة اليقين certum الذي ليس سوى تأمين المتمثل للتمثل، فالعلاقة المحتجبة بالأنوية كيقين بالذات وبالمتمثل قائمة مسبقاً، ولا يمكن تجربة الأنا المفرد بما هو هذا الأنا إلا انطلاقاً من هذه العلاقة، إن الأنا البشري بصفته الكيان الذاتي المفرد المحقق لذاته لا يمكن أن يريد ذاته إلا على ضوء علاقة إرادة الإرادة بهذا الأنا، تلك العلاقة التي لم تُعرف بعد، ليس هناك أنا قائم في ذاته an sich، بل إنه دائماً ليس "في ذاته an sich إلا من حيث يظهر في ذاته in sich [37]، أي كأنوية.

لهذا تسود هذه أيضاً حيث لا يحتل بتاتاً الأنا المفرد موقع الصدارة، حيث يتراجع هذا الأخير بالأحرى ويتخذ المجتمع أو أشكالا أخرى للتجمع موقع السيطرة. وهنا كذلك، وهنا بالضبط تكون السيطرة الخالصة لـ "الأنانية Egoismus التي يجب فهمها ميتافيزيقيا والتي لا علاقة لها بالفكرة الساذجة لـ "وحدة الذات Solipsismus.

الفلسفة في عصر الميتافيزيقا المكتملة هي الأنثروبولوجيا (راجع الآن:"طرق غابوية holzwege ص91 وما يليها) ليس مهما أن ننعت صراحة الأنثروبولوجيا بأنها "فلسفية" أم لا، وفي هذه الأثناء أصبحت الفلسفة أنثروبولوجيا وبهذه الكيفية أصبحت غنيمة لعلوم منحدرة من الميتافيزيقا، أي للفيزياء بالمعنى الواسع الذي يضم فيزياء الحياة والإنسان، البيولوجيا والسيكولوجيا، وبتحولها إلى أنثروبولوجيا تتلاشى الفلسفة ذاتها تحت تأثير الميتافيزيقا.

-19-

تضع إرادة الإرادة كشرط لإمكانيتها تأمين الوجود (الحقيقة) وتصعيد الغرائز (الفن). هكذا تنظم إرادة الإرادة ـ بصفتها الكون ـ هي ذاتُها الكائن، في إرادة الإرادة فقط تبلغ التقنية (تأمين الوجود) والغياب اللامشروط للتمعن (المعيش) موقع السيطرة.

هناك تلازم بين التقنية بوصفها الشكل الأعلى للوعي العقلي مفهوماً بالمعنى التقني وبين غياب التمعن كعجز منظم ومستغلق على ذاته عن بلوغ علاقة مع ما هو جدير بالسؤال: إنهما نفس الشيء.

لماذا الأمر هكذا ؟ وكيف أصبح هكذا ؟ هذا ما نفترض هنا أنه قد تمت تجربته وإدراكه. يبقي فقط أن نتأمل أمراً واحداً هو أن الأنثروبولوجيا لا تنحصر في دراسة الإنسان وفي إرادة تفسير كل شيء على أساس أنه تعبير عن الإنسان. وحتى هناك، حيث لا يُنجز بحث، بل الأحرى تُلْتَمَسُ قرارات يحدث ذلك بحيث يتم مسبقاً توظيف بشرية ضد أخرى والاعتراف بالبشرية بصفتها القوة الأصلية تماماً كما لو كانت هي الأول والأخير وكما لو كان الكائن والتأويل الذي يتخذه كل مرة مجرد نتيجة.

هكذا يهيمن السؤال الذي يعتبرٍ وحده أساسيا: إلى أي شكل ينتمي الإنسان؟ يفكر "الشكل" هنا ميتافيزيقيا، أي أفلاطونياً بكيفية غير محددة على أنه ما يكون وما يحدد بعد ذلك كل تقييد وتطور ويبقى هو ذاته مستقلاً عنهما، هذا الاعتراف المسبق بـ "الإنسان" يقود إلى البحث عن الكون قبل كل شيء وفقط في محيطه وإلى اعتبار الإنسان الواقعي كرصيد بشري، كلاكائن me on بالنسبة للفكرة[38] idea.

-20-

عندما تبلغ إرادة القوة أمنها الأقصى اللامشروط تكون ـ من حيث إنها ما يؤمن كل شيء ـ هي الحكم الوحيد، وإذن الصائب الوحيد، إن صواب إرادة الإرادة هو التأمين اللامشروط والتام لذاتها،ما يطيعها يكون صائباً وموافقاً للنظام ما دامت إرادة الإرادة ذاتها تبقى هي النظام الوحيد. في هذ الأمن الذاتي لإرادة الإرادة تضيع الماهية البدئية للحقيقة، إن صواب إرادة الإرادة هو اللاحقيقي بإطلاق، يتوفر صواب اللاحقيقي في دائرة إرادة الإرادة على جاذبية خاصة، إلا أن صواب اللاحقيقي، الذي يبقى خفيا بصفته كذلك، هو في الوقت نفسه أفظع ما يمكن أن يحدث في تحريف ماهية الحقيقة. يتحكم الصائب في الحقيقي ويقضي على الحقيقة، إن إرادة التأمين اللامشروط تجعل الانعدام الشامل للأمن يتبدى.

-21-

الإرادة هي في ذاتها إنجازٍ لنزوع كتحقيق لما يُنزع إليه، بحيث إن هذا الأخير يوضع صراحة عن معرفة ووعي أساساً كمفهوم ـ أي كتمثل ـ عام، وينتمي الوعي للإرادة. وإرادة الإرادة هي حالة الوعي الأعلى واللامشروط لتأمين الحساب لذاته تأميناً حاسباً (راجع "إرادة القوة"، رقم 408).

لهذا ينتمي إليها البحثُ المستفيض اللامشروط، الشامل والدائم للوسائل والعلل والعوائق، استبدالُ الأهداف وتوظيف بعضها ضد بعض استناداً على الحساب، الخداعُ والمناورة، أساليبُ التفتيش التي بمقتضاها تكون إرادة الإرادة سيئة الظن وماكرة إزاء ذاتها ولا تبقى حريصة إلا على تأمين ذاتها بصفتها القوة ذاتها.

إن غياب الأهداف وبالضبط غيابها الأساسي في إرادة الإرادة اللامشروطة هو اكتمال لماهية الإرادة التي أعلنت عن ذاتها في مفهوم كانط للعقل العملي كإرادة خالصة، هذه تريد ذاتها، وتكون بصفتها الإرادة هي الكون، ولهذا فإن الإرادة الخالصة وقانونها صوريان من حيث المضمون، وإنها بالنسبة لذاتها هي المضمون الوحيد بصفته الصورة(29).

-22-

نظراً لأنه يتم أحياناً تشخيص الإرادة في "إرادات بشرية" فردية، فإنه يبدو كما لو أن إرادة الإرادة تشع من هؤلاء الأشخاص، وهكذا ينشأ الاعتقاد بأن الإرادة البشرية هي أصل إرادة الإرادة، في حين إن الإنسان يراد من قبل إرادة الإرادة دون أن يعرف ماهية أن يراد قبل هذه الإرادة.

نظرا لأن الإنسان هو الذي يراد بهذه الكيفية ويوضع في إرادة الإرادة، فإنه يتم ضرورة مخاطبة الإرادة في ماهيته وفسح المجال لها كحكم حول الحقيقة، والسؤال المطروح عموما هو ما إذا كان الأفراد والجماعات يستمدون وجودهم من هذه الإرادة، أم ما إذا كانوا لايزالون يتفاوضون ويتساومون مع هذه الإرادة، بل ضدها، دون أن يعلموا بأنهم مغمورين مسبقاً من قِبَلها، إن تفرد الكون يظهر أيضاً في إرادة الإرادة التي لا تسمح بأن يراد إلا في اتجاه واحد، ومن هنا ينشأ تجانس عالم إرادة الإرادة الذي هو بعيد عن بساطة البدئي بُعد اللاماهية عن الماهية رغم انتمائها إليها.

-23-

نظراً لأن إرادة الإرادة تنكر كل هدف في ذاته ولا تسمح بالأهداف إلا كوسائل تمكنها من أن ترتفع إراديا فوق ذاتها وأن تنشئ المجال لذلك، أي لهذا الارتفاع، ونظرا لأنه لا يحق مع ذلك لإرادة الإرادة، إذا كان عليها أن تنشئ ذاتها في الكائن، أن تظهر كما هي في الحقيقة، أي كفوضى للكوارث، فإنه يجب عليها أن تبرر مشروعيتها، وهنا تختلق إرادة الإرادة الحديث عن "الرسالة"، وهذه لا يتم فهمها بالنظر إلى ما هو بدئي وإلى صيانته، بل كهدفٍ موكولٍ لها من موقع "القدر" وبذلك مبرر لإرادة الإرادة.

-24-

الصراع بين أولئك الذين يمتلكون القوة والذين يريدون بلوغها: ويدور الصراع في كل طرف حول القوة، إن القوة ذاتها هي دائماً المحدد، بواسطة هذا الصراع حول القوة توضع ماهيةٍ القوة من قبل كلا الطرفين في ماهية سيطرتها اللامشروطة، ولكن في الوقت نفسه يبقى هنا خفياً أن هذا الصراع هو في خدمة القوة وأنه مُرادٌ من قبلها. فهي قد أخضعت قبلاً هذه الصراعات. وإرادة الإرادة تعطي هي وحدها التفويض لهذه الصراعات، ولكن القوة تخضع البشريات لها بحيث تجرد الإنسان من إمكانية التخلص بواسطة هذه الطرق من نسيان الكون، وهذا الصراع كوني بالضرورة، وهو بصفته كذلك غير قابل في ما هيته للحسم، لأنه ليس هناك ما يُحسم فيه، فهذالصراع يبقى مقصياً من كل تمييز، أي من الاختلاف (بين الكون والكائن)

وبالتالي من الحقيقة، ويتم دفعه بواسطة قوته الخاصة إلى اللاقدري:إلى هجران الكون seinsverlassenheit (40).

-25-

إن الألم الذي يجب أولاً معاناته ومكابدته هو رؤية ومعرفة أن غياب الضيق هو الضيق الأعلى والأكثر خفاءً والذي يضغط من الأقاصي.

يكمن غياب الضيق في الاعتقاد بأن المرء يمتلك زمام الواقعي والواقع وأنه يعرف الحقيقي دون حاجة إلى أن يعرف أين تحدث الحقيقة.

إن ماهية العدمية من منظورتاريخ الكون هي هجران الكون من حيث يحدث فيه أن الكون يترك ذاته للفعلية (41) Machenschaft، هذا الترك يسخر الإنسان بكيفية لامشروطة، إنه ليس بتاتاً سقوطاً أو أمراً سلبياً بأي معنى كان.

لهذا فإنه ليست أيضاً كل بشرية، كيفما كانت، أهلاً لأن تحقق تاريخياً العدمية اللامشروطة، ولذلك فإنه لابد من صراع من أجل الحسم حول البشرية القادرة على تحقيق الاكتمال اللامشروط للعدمية.

-26-

علامات الهجران الأقصى للكون هي نداءات "المثل" و"القيم"، التخبط العشوائي بين المناداة بـ "الفعل" وعدم إمكانية الاستغناء عن "الروح"، وكل ذلك مندمج في آلية تجهيز عملية إحقاق النظام. وهذه العملية ذاتها محددة من قبل الفراغ الناجم عن هجرالكون الذي يشكل فيه استهلاك الكائن في عمل التقنية، التي تنتمي إليها الثقافة أيضاً، المخرج الوحيد الذي يستطيع الإنسان المولع بذاته أن ينقذ عبره الذاتية بتحويلها إلى ما فوق البشرية. ما تحت البشرية das untermenschentum وما فوق البشرية übermenschentum هما الشيء نفسه؛ إنهما متلازمان مع بعضهما مثلما يقترن في المفهوم الميتافيزيقي للحيوان العاقل "التحت" المنتمي للحيوانية و"الفوق" المنتمي للعقل ratio بكيفية وثيقة ويتوافقان، ما تحت البشرية وما فوق البشرية يجب فهمهما هنا ميتافيزيقيا وليس كتقييمات أخلاقية.

يتحدد استهلاك الكائن من حيث هو كذلك وفي مجراه من قبل التجهيز بالمعنى الميتافيزيقي الذي بواسطته يجعل الإنسان من نفسه "سيداً" على ما هو "أولى".

يتضمن الاستهلاك الاستعمال المقنن للكائن الذي يصير مناسبة ومادة لتحقيق إنجازات وتصعيدها. وهذا الاستعمال يُستخدم لخدمة التجهيز، ولكن حيث إن هذا الأخير يتجه إلى التصعيد وإلى التأمين الذاتي اللامشروطين ويجعل في الحقيقة من غياب الهدف هدفاً، فإن الاستخدام يكون إتلافاً Vernutzung.

إن "الحروب العالمية" وطابعها "الكلي" عواقب لهجران الكون، إنها تدفع إلى تأمين قيام شكل دائم للإتلاف. هذه السيرورة تشمل أيضاً الإنسان الذي لم يبق مستمراً في إخفاء طابعه كأهم مادة خام. إن الإنسان هو "أهم مادة خام" لأنه يبقى أساس subjekt كل إتلاف وذلك إلى حد أنه يجعل إرادته تذوب على نحو لامشروط في هذه العملية ويصبح بذلك في الوقت نفسه موضوع objekt هجران الكون. إن الحروب العالمية[42] die Welt-Kriege،هي الشكل الجنيني لإلغاء الفرق بين الحرب والسلم، هذا الإلغاء ضروري لأن "العالم" أصبح لا عالما بسبب هجران حقيقة الكون للكائن، فـ "العالم" حسب فهم تاريخ الكون (راجع ما قلناه سلفاً في "الكون والزمان") هو الحدوث الذي ليس له طابع موضوعي لحقيقة الكون Seyn لأجل الإنسان من حيث إن هذا الأخير هو أساساً في ملك الكون، وفي العصر الذي تمتلك فيه القوة هي وحدها القوة، أي عصر الاندفاع اللامشروط للكائن نحو أن يُستهلك في الإتلاف، يصبح العالم لا عالماً، لأن الكون يحدث بالفعل لكن دون سيادة خاصة، والكائن واقعي من حيث هو مرتبط بالتأثير[43]، وليس هناك إلا التأثير، ولا وجود في أي مكان لحدوث العالم كعالم، على الرغم من أن الكون ما زال قائما، وإن كان منسياً، فيما وراء الحرب والسلم يسود مسلسل التيهان[44] المحض لإتلاف الكائن في تأمين النظام لذاته انطلاقاً من الفراغ الناجم عن هجران الكون، لقد تحور "الحرب" و"السلم" إلى لا ماهيتهما فضمهما مسلسل التيهان، ولأنه أصبح من غير الممكن التعرف عليهما من زاوية فرق ما، فقد اندثرا في المجرى المحض للإنجاز المتصاعد لما يمكن فعله، إن السؤال متى يحل السلم لا يمكن الجواب عنه، ليس لأنه لا يمكن التنبؤ بمدة الحرب، بل لأن السؤال ذاته يسأل عن شيء لم يبق موجوداً، ذلك أن الحرب ذاتها لم تبق شيئاً يمكن أن ينتهي بالسلم، فالحرب أصبحت ضرباً من إتلاف الكائن يتواصل في زمن السلم، إن توقع حرب طويلة الأمد ليس سوى الشكل المتقادم الآن الذي يُعترف فيه بجديد عصر الإتلاف، وهذه الحرب الطويلة تنتهي في طولها ببطء ليس إلى سلم من النوع القديم، بل إلى حالة لا تتم فيها مسلسل التيهان حقيقة للكون ؛ لكنه في مقابل ذلك يبسط لكل تصميم في أي ميدان النظام والأمن التامي التجهيز، في إطار (دائرة) دوائر الاختصاص تتحول بالضرورة المجالات الخاصة للتجهيز البشري إلى قطاعات ؛ "قطاع"الشعر و "قطاع"الثقافة ليسا أيضاً سوى حقلين بجانب أخرى لـ "القيادة" المؤمنَّة عن طريق التخطيط، إن الاستنكارات الأخلاقية التي تصدر عن أولئك الذين لا يعرفون بعد ما هو كائن تستهدف غالباً تحكم "القائدين" وطموحهم للسيطرة ـ وهي أوخم أشكال تقديرهم الدائم، وينصب على القائدين الامتعاض الذي لا ينفك عن ملاحقة الفضائح التي يقوم بها أولئك ظاهرياً فقط، ذلك أنهم ليسوا هم الفاعلين، ويعتقد المرء أن القائدين استباحوا من تلقاء أنفسهم كل شيء في جنون أعمى لأنانيتهم الذاتية ورتبوه لأنفسهم حسب هواهم، ولكنهم في الحقيقة ليسوا سوى النتائج الضرورية لانتقال الكائن إلى كيفية التيهان التي يتفشى فيها الفراغ الذي يتطلب تنظيماً وتأميناً وحيداً للكائن، ومن هنا تكون ضرورة "القيادة"، أي الحساب الذي يخطط لتأمين الكائن مطلوبة، ولأجل ذلك يجب إعداد وتجهيز أولئك الناس الذين يخدمون القيادة· "القائدون" هم عمال التجهيز

الأساس ون الذين يحيط بصرهم بكل قطاعات تأمين إتلاف الكائن، لأنهم يدركون غور مجموع دائرة القطاعات وبذلك يسيطرون على التيهان في قابليته للحساب، وهذا النوع من الإدراك هوالقدرة على الحساب التي أطلقت مسبقاً لذاتها العنان تماماً في مقتضيات التأمين المتصاعد باستمرار للأنظمة لخدمة إمكانيات التنظيم المقبلة، إدراج كل النزوعات الممكنة في سياق كلية التخطيط والتأمين يسمى "الغريزة"، ويدل هنا هذا اللفظ على "العقل"، الذي يتخطى الفهم الضيق الذي لا يحسب إلا انطلاقاً مما هو قريب، والذي لا يفلت من "عقلانيته" كل ما يجب أن يدخل كـ "عامل" في إجراء حسابات "القطاعات" الفردية، الغريزة هي التصعيد المفرط للعقل إلى الحساب اللامشروط لكل شيء تصعيداً يناسب ما فوق البشرية، وحيث إن هذا الحساب يسيطر إطلاقاً على الإرادة، فإنه يظهر أنه لم يبق هناك بجانب الإرادة إلا أمن الدافع المجرد للمحاسبة التي تكون بالنسبة لها تسوية كل شيء هي القاعدة الأولى للحساب [45]، وتعتبر "الغريزة" حتى الآن كخاصية للحيوان الذي يحدد ويتابع في دائرة حياته ما ينفعه، ويضره دون أن ينزع فيما وراء ذلك نحو أي شيء، ويوازي أمن الغريزة الحيوانية اندماجها الأعمى في دائرة منفعتها، إن تفويض السلطة اللامشروط لما فوق البشرية يتناسب مع التحرر التام لما تحت البشرية، هكذا تصبح غريزة الحيوان وعقل ratio الإنسان متطابقين.

إذا كانت ما فوق البشرية تتطلب الغريزة كسمة لها، فهذا يعنى أن ما تحت البشرية ـ بالمعنى الميتافيزيقي ـ ينتمى إليها، ولكن بحيث إن الحيواني في كل شكل من أشكاله يخضع كلية الحساب والتخطيط (مراقبة الصحة، تربية النسل) وحيث إن الإنسان هو أهم مادة خام، فإنه يُتوقع أن يتم ذات يوم على أساس الأبحاث الحالية في ميدان الكيمياء، تشييد معامل للإنتاج الاصطناعي للمواد البشرية، إن أبحاث الكيميائي كون kuhn الذي حصل هذه السنة على جائزة جوته التي تمنحها مدينة فرانكفورت[46] قد فتحت إمكانية التحكم في إنتاج الكائنات الحية الذكرية والأنثوية بكيفية مخططة حسب الحاجة، توازي قيادة الكتابة الأدبية في قطاع الثقافة في انسجام تام قيادة الإخصاب الاصطناعي، (لا ينبغي على المرء هنا أن يلجأ تصنعاً للحياء إلى فروق لم تبق قائمة، حيث إن الحاجة إلى المادة البشرية تخضع لنفس ضوابط التنظيم القائم على التجهيز التي تخضع لها الحاجة إلى كتب للتسلية وأشعار لا يكون الشاعر في إنتاجها أكثر أهمية من صبى المجلد الذي يساعد في تجليد الأشعار من أجل خزانة للمؤلفات بأن يجلب من المخازن الورق المقوى الذي يستعمل كمادة خام لصنع الأغلفة).

إن إتلاف كل المواد، بما في ذلك المادة الخام "الإنسان"، من أجل الإنتاج التقني للإمكانية اللامشروطة لإنتاج كل شيء يتحدد بكيفية خفية من قبل الفراغ التام الذي يقوم فيه الكائن بمعنى الواقعي، وهذا الفراغ يجب أن يملأ عن آخره، لكن حيث إن فراغ الكون، خاصة عندما لايمكن تجربته بما هو كذلك، لايمكن ملؤه أبداً بواسطة الكائن، فإنه لا يبقى لأجل التخلص منه سوى إعداد الكائن دون انقطاع لتحقيق الإمكانية الدائمة للتنظيم كشكل لتأمين الفعل الذي لا هدف له، إن التقنية ـ منظوراً إليها من الزاوية ـ هي تنظيم الندرة، لأنها متعلقة دون علم

منها بفراغ الكون. حيثما يكون الكائن قليلاً ـ وإنه في كل مجال يقل كل شيء باستمرار بالنسبة لإرادة الإرادة ـ يجب أن تتدخل التقنية لتوفر العوض وتستهلك المادة الخام، ولكن"العوض" وإنتاج أشياء الغيار بالجملة ليس في الحقيقة مجرد علاج مؤقت، بل الشكل الوحيد الممكن الذي تستطيع فيه إرادة الإرادة، أي التأمين الكلي لنظام التنظيم، أن تستمر في سيرها وأن تكون بذلك هي "نفسها" "الذات" بالنسبة لكل شيء، إن تزايد عدد الجموع البشرية يتم تدبيره عمداً حسب تصاميم، حتى لا تنقضي أبداً مناسبة المطالبة للجموع الكبرى بـ مجالات حيوية " أكبر تتطلب بسبب كبرها هي بدورها من أجل إعدادها جموعاً بشرية أكبر تناسبها[47] وهذه الحركة الدائرية للإتلاف من أجل الاستهلاك هي المسلسل الوحيد الذي يميز تاريخ عالم تحول إلى لا عالم، إن "المؤهلين بطبعهم للقيادة" هم أولئك الذي يوظفون، على أساس أمن غريزتهم، من قبل هذه العملية كأجهزة لتوجيهها، إنهم الموظفون الأوائل في مسار عملية الإتلاف اللامشروط للكائن من أجل تأمين الفراغ الناجم عن هجران الكون، إن سير عملية إتلاف الكائن هاته انطلاقاً من صد دون وعي للكون الذي لم تتم تجربته يقصي مسبقاً الاختلافات بين الوطني والشعوب، كلحظات محددة بشكل أساسي، وكما أن الاختلاف بين الحرب والسلم أصبح لاغياً، فإن التمييز بين ما هو "وطني" وما هو "دولي" يصبح هو أيضا لاغياً، حيث إن من يفكر اليوم "أوربيا" لا يمكن أن يؤخذ عليه أنه ذو نزعة دولية، ولكنه ليس أيضاً وطنياً، ما دام لا يفكر في مصلحة "الأوطان" الأخرى أقل مما يفكر في مصلحته الخاصة.

إن تجانس مسار التاريخ في العصر الحالي يرتكز هو أيضاً ليس على تقريب بعدي للأنظمة السياسية القديمة من الأنظمة الأكثر جدة، إنه ليس نتيجة النزاعات الحربية بين الطموحات الفردية للقيادة الحاسمة داخل مسلسل إتلاف الكائن من أجل تأمين النظام، بل علتها، إن تجانس الكائن الذي يخلفه الفراغ الناشئ عن هجران الكون والذي يكون المهم فيه هو فقط التأمين الحاسب لنظام للكائن ـ يخضع هذا الأخير لإرادة الإرادة، يحدد أيضاً ـ في كل مكان، وقبل كل الفروق الوطنية ـ تجانس الهيئة القيادية التي تكون كل أشكال الدولة بالنسبة لها مجرد أداة للقيادة بين أدوات أخرى. نظراً لأن واقعية الواقع تكمن في تجانس الحساب المخطط، فإن التجانس يجب أن يشمل الإنسان أيضاً لكي يبقي في مستوى الواقعي، إن إنساناً لا يحمل الزي الموحد يثير اليوم الانطباع بأنه لا واقعي ولا ينتمي إلى هذا العالم. وينتشر الكائن الذي تسمح به وحده إرادة الإرادة في غياب للاختلاف لا يمكن التحكم فيه إلا بواسطة تعامل وتنظيم خاضعين لـ "مبدأ الإنجاز"، هذا الأخير يولد في الظاهر تراتبا؛ لكن أساسه المحدد في الحقيقة هو غياب كل رتبة، ذلك أن هدف الإنجاز حيثما كان هو الفراغ المتجانس لإتلاف كل عمل في تأمين التنظيم، إن غياب الاختلاف الناشئ بحدة عن هذا المبدأ لا يتطابق بتاتاً مع مجرد التسوية التي ليست سوى تقويض للتراتبات القائمة، إن غياب الاختلاف داخل الإتلاف الشامل ينشأ عن منع موجب للتراتب بمقتضى أسبقية فراغ كل تسطير للأهداف[48]، يشهد غياب الاختلاف هذا على القيام المؤمن مسبقا للاعالم هجران الكون، وهكذا تظهر الأرض كلاعالم التيهان، إنها حسب تاريخ الكون النجم المتيه.

-27-

يسكن الرعاة بكيفية غير مرئية وخارج قفر الأرض المخربة التي لا ينبغي أن تخدم الآن إلا تأمين سيطرة الإنسان الذي ينحصر تأثيره في تقدير ما هو مهم أو غير مهم للحياة، تلك الحياة التي تقتضي مسبقاً بصفتها إرادة الإرادة أن تنحصر كل معرفة في هذا النوع من الحساب والتقييم المؤمنين.

إن الناموس غير الظاهر للأرض يصون هذه في القناعة ببزوغ كل الأشياء وأفولها داخل الدائرة المقيضة للممكن الذي يطبعه الكل ولا يعرفه أحد، والسدرة لا تتخطى أبداً ممكنها، وتجمع النحل يسكن في ممكنه، وحدها الإرادة التي تنشئ ذاتها في التقنية بكيفية مرنة في كل مكان تلقي بالأرض إلى الإنهاك والإتلاف وتغيرها إلى ماهو اصطناعي، إنها ترغم الأرض على تخطي الدائرة التلقائية لمكنها إلى ما لم يبق ممكناً وما هو إذن مستحيل، فنجاح المشاريع والإجراءات التقنية في إحراز كثير من الابتكارات والتجديدات المتلاحقة لا يقوم بتاتاً كدليل على أن مكاسب التقنية تجعل المستحيل ذاته ممكناً.

إن النزعة الراهنية والأخلاقية لعلم التاريخ [49] هما الخطوتان الأخيرتان لمطابقة الطبيعة والروح على نحو مكتمل مع ماهية التقنية، الطبيعة والروح هما موضوعان للوعي بالذات الذي تفرض سيطرته اللامشروطة عليهما معاً مسبقاً تجانساً لا يمكن ميتافيزيقيا الإفلات منه.

هناك اختلاف كلي بين أن نقوم باستغلال الأرض فقط، وبين أن نتلقى نعمة الأرض ونستوطن في ناموس هذا التلقي من أجل سر الكون والسهر على عدم انتهاك حرمة الممكن.[48] ليس هناك فعل يمكن أن يغير وحده حالة العالم، لأن الكون كفعالية وتأثير يغلق كل كائن أمام الخصوصية[50]، حتى الألم المفرط الذي يجرى فوق الأرض لا يستطيع أن يوقظ مباشرة أي تحول، لأنه مجرد انفعال، وهذا سلبي وبالتالي حالة معاكسة للفعل ولهذا تتم تجربته مع هذا الأخير في نفس مجال سيادة إرادة الإرادة.

إلا أن الأرض تبقى مصونة في الناموس غير الظاهر للممكن الذي هو الأرض، إن الإرادة فرضت على الممكن المستحيل هدفاً، وتنشأ الفعلية Machenschaft التي تنظم هذا الإكراه وتحافظ عليه في سيطرته على ماهية التقنية، وهذا اللفظ يستعمل على أنه مطابق لمفهوم الميتافيزيقا في اكتمالها، إن التجانس اللامشروط لكل بشريات الأرض في ظل سيطرة إرادة الإرادة يجعل غياب معنى الفاعلية البشرية، التي توضع على أنها مطلقة جلياً.

يبتدئ إتلاف الأرض كسيرورة مرادة، ولكن غير معروفة في ماهيتها وكذلك غير قابلة للمعرفة، في الوقت الذي تحددت فيه ماهية الحقيقة كيقين يصبح فيه أولاً التمثل vor - stellen والإنتاج her- stellen البشريين متأكدين من ذاتهما، وأدرك "هيجل" هذه اللحظة من تاريخ الميتافيزيقا على أنها اللحظة التي أصبح فيها الوعي المطلق بالذات مبدأ التفكير.

يبدو تقريبا كما لو كانت ماهية الألم مستغلقة على الإنسان في ظل سيطرة الإرادة، وكذلك ماهية الفرح، فهل يمكن أن يجلب هنا إفراط المعاناة تحولا ؟

لا تحول يأتي دون مواكبة مرشدة ولكن كيف يمكن أن تقترب هذه ا لمواكبة إذا لم تضيء الخصوصية التي تعاين [51] ماهية الإنسان منادية محتاجة، أي تلمحها، وفي لمحها تضع الفانين على طريق البناء الفكري الشعري؟

الهوامش

1- die überwindung: التخطي، من الفعل Uberwinden، ومن ضمن معانيه: تغلب على خصم أوعدو وقهره وأخضعه؛ تخطى صعوبات أو عراقيل وتغلب عليها وذللها؛ تغلب علي شكوكه ومخاوفه وتخلص منها. يصرح "هايدجر" بأن عبارة Uberwindung der Meatphysik من شأنها أن تثير أخطاء في الفهم فتخطى الميتافيزيقا يفهم عادة بمعنى إلغائها والقضاء عليها ويعتقد "هايدجر" أن كل من يفهم تخطى الميتافيزيقا بهذا المعنى معتقداً أنه يترك الميتافيزيقا وراءه يبقى في الحقيقة متورطاً فيها ، أما تخطى الميتافيزيقا كما يتصوره هايدجر في إطار تفكير تاريخ الكون فهو يعني الرجوع إلى أساس الميتافيزيقا من أجل النفاذ إلى ماهيتها وبيان موقعها في تاريخ الكون، وهذا التخطى يجعل ماهية الميتافيزيقا تظهر ويعيدها إلى حدودها.

2- بجانب فعل Uberwinden الذي ترجمناه بلفظ تخطى" يستعمل هايدجر أيضا الفعل verwinden القريب في منطوقه ومدلوله من الفعل Uberwinden، الأمر الذي يجعل التمييز بينهما صعبا، لكن يمكن الاستعانة في هذا الصدد بإشارة لهايدجر وردت في محاضرة "الانعطاف" die Technik und die kehre, Auflage 9 S. 38: 1996يقول فيها بأنه يجب فهم فعل verwinden كما نفهمه عندما يتعلق في المجال البشري بألم، أي بمعنى برئ شفي تخلص من، أو تعزى عن. نقول مثلا عن شخص بأنه تعزى عن أمر مؤلم، مثلا عن فقدان حبيب، التعزى لا يعنى هنا أن الأمر المؤلم قد تم القضاء عليه وإلغاؤه، إنه لازال قائما، لكن أصبح في الإمكان تحمله والعيش به، وهذا ما ينطبق علي تخطى الميتافيزيقا كما يفهمه هايدجر، فهو لايعني القضاء عليها وبيان بطلانها، بل إرجاعها إلى حقيقتها. من ناحية أخرى، فإن التعزى ليس أمرا يقرره الإنسان، بل هو أمر يحدث للإنسان، بل قدرا للكون، فإن تخطيها هو أيضا ليس بيد الإنسان، بل لا يمكن أن يحدث إلا انطلاقاً من الكون ذاته، أي بمجيء قدر آخر للكون، وكل ما يمكن أن يقوم به الإنسان هو أن يتهيأ وأن ينمي لديه القدرة على تلقي هذا القدر والاستماع إليه. للحفاظ على هذا المعنى، ونظرا لصعوبة استعمال لفظ آخر لترجمة الفعل verwinden في استعمالاته النحوية المختلفة تصرفنا في الترجمة واستعملنا الفعل تبدل، حيث يكون تخطى الميتافيزيقا هو تبدل الكون ذاته، أي مجئ كيفية أخرى لظهور الكون والكائن، بصدد اسم الخصوصية Ereignis das وعلاقته بتخطى الميتافيزيقا راجع تقديمنا لنص "الطريق إلى اللغة".

3- die Seiendheit : الكائنية - ينحت هايدجر كلمة die Seiendheit انطلاقا من das Seiende أي الكائن للدلالة على الكون كما تفهمه الميتافيزيقا وتفكره ، إن الميتافيزيقا تتساءل عن الكائن من حيث هو كائن، أي عن الكائن في كونه، أو عن كون الكائن، لكنها لا تسأل عن الكون ذاته، عن الكون ككون، في حقيقته. لهذا يقول هايدجر إن سؤالها يتعلق في حقيقة الأمر بالكائنية، أما الكون ذاته فيبقى فيها منسيا، إن الميتافيزيقا هي قدر لحقيقة لكائن (لا الكون) أي للكائنية، أي لنسيان الكون.

4- يجب الانتباه عند قراءة هذه الجملة إلى أن "هايدجر" يشدد على الفعل "يكون" الذي يرد هنا في صيغة المضارع، يريد هايدجر أن يقول بذلك إن الميتافيزيقا حاضرة، أي قائمة في الحاضر رغم انتمائها للماضي، إن الماضي بالمعنى الأصيل die Gewesenheit عند هايدجر ليس مقطعاً من الزمان مر ومضى وانقضى، بل إنه امتداد زماني يبقي مصوناً في الحاضر، إن مضي الميتافيزيقا، كونها منتمية للماضي، أي شيئا ماضيا لايعني أنها انقضت ومضت، بل إنها بصفتها شيئا ماضيا مازلت حاضرة، أي قائمة في الحاضر ومؤثرة فيه متخذة صورة سيطرة التأويل العلمي - التقني للعالم.

5- die verendung : الانتهاء ، تستعمل هذه الكلمة للدلالة على الموت البطيء الطويل الأمد والموجع للحيوان. لهذا يختارها هايدجر للتعبير عن الوضعية الحالية للميتافيزيقا. لكن يختار هايدجر هذه الكلمة في الوقت نفسه لسبب آخر وهو أنها تضم الجذر Ende : النهاية ، يحيث يعنى الانتهاء دخول الميتافيزيقا إلى طور نهايتها بمعنى اكتمالها وتحقيق إمكانياتها القصوى، لهذا يفصل بين شطري الكلمة ويكتب ver-endung والمقصود عند هايدجر هو أن انتهاء الميتافيزيقا يتم ببطء ويستغرق وقتاً طويلا وهو في الوقت نفسه موجع، كما يريد أن يقول إن الميتافيزيقا في طور انتهائها تبقى مؤثرة وإن بصفة غير صريحة وغير بارزة، أي بكيفية ضمنية، غير مبالية وغير مثيرة للانتباه، هذا طبعاً إذا فكرنا الميتافيزيقا انطلاقاً من فجر البدء، أي انطلاقا من حقيقتها البدئية كما يكشفها تفكير تاريخ الكون.

6- verwüstung : هذه الكلمة مشتقة من كلمة die Wüste التي تعني الصحراء، لذلك فترجمتها الحرفية هي التصحير لكن نظرا لأن هذه الكلمة غير متداولة فقد ترجمناها بالتخريب، التصحير حسب هايدجر هو أعمق وأسوأ من التدمير، فالتدمير يكتفي بالقضاء على ما تم نموه وبناؤه، أما التصحير عند هايدجر فيمنع كل نمو وبناء في المستقبل، لكن التصحير كما يقول هايدجر يمكن أن يرتبط ببلوغ مستوى مرتفع لحياة الإنسان وبتنظيم حالة م السعادة متجانسة لدى كل الناس، وبذلك يمكن أن يخفى ذاته.

7- مع إرنست يونجر يتضح أن العمل أصبح هو الأسلوب السائد في موضعه الطبيعة. ويلاحظ هايدجر أنه عندما يتم تأويل الكائن من زاوية استثماره في مسلسل العمل وعندما يفهم الإنسان ذاته من خلال فعالية العمل، فإن هذا في الحقيقة حدث ميتافيزيقي، ففي كل ذلك ينطق فهم محدد للكائن في كونه، لهذا يقول هايدجر إن نهاية الميتافيزيقا تعبر عن ذاتها في فلسفة إرادة القوة "لنيتشه" وفي تصور العامل عند يونجر حيث إن كون الكائن يفهم انطلاقاً من الإنسان ومن إنجاز عمله، قدرته على التنظيم، فاعليته وطموحه للسيطرة، في سيطرة الشكل التاريخي للعامل كما يفكرها يونجر يرى هايدجر اكتمال ميتافيزيقا إرادة القوة، إن الشكل الذي يحقق حسب يونجر إرادة القوة التي كان نيتشه أول من تعرف عليها هو الشكل التاريخي للعامل، يونجز يوضح حسب هايدجر الوضع الميتافيزيقي لنيشه ويبين نتائجه القصوى، إن تأويل يونجر يبقي خاضعاً لمقولات نيتشه وشكل العالم يتوافق مع الاكتمال الأقصى لميتافيزيقا إرادة القوة ولتحقيق ماهيتها في ماهية التقنية.

8- الاختلاف بين الكون والكائن يسميه هايدجر الاختلاف الأنطولوجي، هذا الاختلاف يسود في الميتافيزيقا بكيفية ما، بل إن الميتافيزيقا مدينة بوجودها له، ولولا هذا الاختلاف لما أمكنها أن تفكر الكائن ككائن، لأن الكائن لا يبدو إلا في ضوء الكون، لكن مع ذلك فالميتافيزيقا لا تفكر هذا الاختلاف صراحة كاختلاف، أي أنها لا تفكر الأساس الذي تقوم عليه ويسمح بإمكانياتها.

9-الميتافيزيقا هي حقيقة الكائن، الكائن فقط لأن الكون يبقي فيها منسياً. وفي حقبة اكتمال الميتافيزيقا يحدث أفول حقيقة الكائن، يعني أفول حقيقة الكائن أن الكائن ذاته لم يعد يتوفر على أية حقيقة، لم تبق له أية خصائص قائمة فيه، لم تبق له ماهية، لأنه أصبح مجرد موضوع للعمل ووسيلة لتحقيق سيطرة الإرادة وأمرها، أفول حقيقة الكائن يعني أن الكائن لم يبق يتحدد إلا كمجال لفاعلية الإنسان وأنه لا ينظر إليه إلا من زاوية استثماره في مسلسل العمل وقبل كل شيء كمصدر ممكن للطاقة، مع سيطرة الموضعة التقنية للكائن تتجه الاختلافات بين الأشياء بل وبين قطاعات الكائن إلى الزوال، هكذا تظهر الأشياء متجانسة، إن الكائن ينمحي تدريجياً، لا تبقى له ماهية، لا يبقى سوى موضوع السيطرة التقنية ورصيد من الطاقة.

10- das nichitge Nichts : العدم السلبي، ينعت هايدجر العدم هنا بالعدم السلبي ليميزه عن العدم الأصيل بالمعنى الذي يتكلم عنه في محاضرة "الميتافيزيقا"؟ يتحدد العدم بأنه يختلف كلية عن الكائن. بالنسبة للتفكير الذي يفكر حقيقة الكائن وحده يكون العدم هو الغياب التام للكائن، العدم حسب ذلك غير كائن، لا وجود له، وبالتالي لا معنى للبحث فيه والسؤال عنه ، والعدم بهذا المعنى هوالذي يعبر عنه هايدجر بالعدم السلبي، أي العدم بالمعنى المتداول، لكن إذا فكرنا انطلاقا من الاختلاف بين الكون والكائن وقلنا إن العدم ليس كائناً، لوجب أن نقول إن الكون عدم، لاشيء لكن العدم مفهوماً بهذه الكيفية ليس عدماً سلبياً، بل هو عدم أصيل، إنه ليس سوى الكون ذاته منظورا إليه من زاوية الكائن، أي هو الكون إذا حاولنا تحديده من زاوية الكائن.

11- لفهم هذه الجملة يستحسن أن نقرأها هكذا : قبل أن يتمكن الكون من أن يحدث في حقيقته البدئية يجب أن ينكسر الكون كإرادة [وقبل ذلك] يجب أن يرغم العالم على الانهيار والأرض على التخريب والإنسان على مجرد العمل.

12- das Ich : الأنا ichhaft : أنوى نسبة إلى الأنا؛ die Ichheit الأنوية كيفية الكون الخاصة بالأنا.

13- الأنا أفكر يتمثل الكائن أي يضعه إزاءه أي إزاء ماهو آخر بالنسبة للكائن.

14- الموضوع هو وحدة قيام المقومات. يتضمن الموضوع جانبين، مقومات ماهيته، أي مجموع السمات التي تحدده وتميزه مكونة بذلك ماهيته التي تتضمن فقط إمكانية الموضوع بغض النظر عن وجوده الفعلي أم لا ؛ ثم قيام هذه المقومات، أي وجودها الفعلي، يتوقف الجانبان معا على التمثل بمعنى جعل الشيء يقوم أو يمثل أمامنا. يجب أن نشير هنا إلى أن هايدجر يستثمر هنا المعنى الحرفي للفظ Gegenstand : الموضوع Gegen-stand تعنى حرفيا ما يقوم او يقف أمامنا أو قبالتنا.

15- Subjectum هي الترجمة اللاتينية الحرفية للكلمة الإغريقية Hupokeimenon وتعنى ما يقوم كأساس لشيء ما، ما هو دائم الحضور فيه وما يحمل الأعراض، في العصر الحديث يصبح كل شيء قائماً على تمثل الإنسان، أي يصبح تمثل الإنسان هو أساس كل تمثيل، هو الحامل لكل تمثل، هو الحاضر في كل تمثل، لهذا يصبح هو وحده subjectum، أي ذاتا subjekt بالمعنى الحديث، ترجمت هذه الكلمة بلفظ "حامل" راجع الهامش رقم 22

16- تعنى هذه العبارة : "أنا أفكر" تعنى "أفكر أنني أفكر" ، أفكر ذاتي مفكراً، أفكر ذاتي وأنا أفكر

17- die Gegenstandigkeit : الموضوعية لا تعنى الموضوعية عند هايدجر خاصية للحكم أو المعرفة عندما تلتزم بالموضوع وتعبر عنه كما هو، بل كيفية كون الموضوع، وفي العصر الحديث يصبح الكائن موضوعاً للتمثل ويصبح كون الكائن، وبالضبط كائنتيه، هي الموضوعية.

18- يترجم هنا هايدجر كلمة ousia ب Seiendheit أي الكائنية، ويعتقد أن هذا هو معناها الأصلي عند الإغريق.

19- die Vorgestelheit: التمثلية كيفية كون الكائن عندما ينظر إلى الكائن من حيث هو موضوع لتمثلنا. إن كون الكائن يتحدد في العصر الحديث كتمثيلية وموضوعية، وهما يعنيان في العمق الشيء نفسه.

20- هيجل ونيتشه يفهمان معاً الذاتية كذاتية لامشروطة، ميتافيزيقا هيجل هي ميتافيزيقا الذاتية اللامشروطة للإرادة التي تعرف ذاتها، أي للروح، والذات اللامشروطة تتحدد عند هيجل انطلاقاً من ماهية العقل الذي يفكره هيجل

دائما كوحدة للمعرفة والإرادة. في الذاتية اللامشروطة للعقل تبقى الإمكانية القصوى للسيطرة اللامشروطة للإرادة التي تأمر ذاتها غائبة، لهذا فإن ذاتية الروح المطلق تكون بالفعل لامشروطة، لكن غير مكتملة، إن قلبها إلى ذاتية إرادة القوة هوالذي يستنفذ الإمكانية الأخيرة للميتافيزيقا، وهذا ما تم مع نيتشه حيث تتحدد الذاتية اللامشروطة بالنسبة له كذاتية للجسم، للغرائز والانفعالات، أي لإرادة القوة، في الذاتية اللامشروطة لإرادة القوة مع نيتشه يتم الاعتراف بالعقل، لكن فقط ليكون في خدمة إرادة القوة. لهذا فإن الميتافيزيقا لا تبلغ اكتمالها إلا مع نيتشه، في الميتافيزيقا يتم تحديد الإنسان كحيوان عاقل. عند هيجل يكون العقل هو المحدد للذاتية اللامشروطة، أما مع نيتشه فتصبح الحيوانية هي الخيط الموجه، لكن ميتافيزيقا هيجل تمثل بداية الاكتمال، لأنه فقط عندما يصبح العقل محددا ميتافيزيقيا كذاتية لامشروطة يكون من الممكن قلب أسبقية العقل إلى أسبقية الحياة.

21- يبين هايدجر أن ترجمة اللفظ الإغريقي enérgia إلى اللفظ اللاتيني actualitas ثم الألماني Wirklichekeit تحرف المعنى الأصلي للفظ الإغريقي، لكن الفهم الذي نشأ عن هذا التحريف فرض ذاته ليصبح مرجعاً لفهم اللفظ الإغريقي ذاته، لهذا السبب كان هايدجر منذ "الكون والزمان" يدعو الأنطولوجيا التقليدية بمعنى إبعاد التأويلات المحرفة والرجوع إلى التجربة الأصلية. إن الـ enérgia تعنى الكون أو الوجـود بالفـعل، وهـذا ما تعنيه أيـضا الـ actualitas، بحيث تبدو هذه الترجمة حرفية، ولكنه مع ذلك تطمس المعنى الأصلي للـ enérgia فالـ enérgia تعنى الكون بالفعل، أي الكون الخاص بالكائن بالفعل، بالـ érgon لكن الـ érgon عند الإغريق تعنى الكائن من حيث إنه يقوم وينتصب باستقلال في المجال المفتوح للحضور، في مجال اللاخفاء، أما الـ ens actu الذي يدل في اللغة اللاتينية على الكائن بالفعل فيشير إلى الكائن من حيث إنه مفعول لفعل ونتاج لتأثير، إنه ما يتم تحقيقه وإنجازه في فعل. هذا التحريف والطمس يستمر في العصر الحديث عندما يصبح الكائن بالفعل هو الواقعي Wirkliche das والكون بالفعل هو واقعية هذا الواقعي die Wirklichkeit الكائن بالفعل ، الـ érgon يصبح هو das Werk : العمل بمعنى المنتوج، الأثر، وهذا يتم فهمه انطلاقاً من التأثير die Wirkung ، إن ماهية الكائن بالفعل لم تبق هي الحضور المتميز في المجال المفتوح، بل واقعية الواقعي الذي تتم السيطرة عليه في فعل التأثير das Wirken والمرتبط بعملية التأثير. يعتمد هايدجر هنا كذلك على القرابة بين das Werk : المنتوج، الأثر الذي يترجم الكلمة الإغريقية Wirkung, érgon : ا لتأثير و Wirklichkeit : الواقعية إن الكون ينظر إليه في العصر الحديث من خلال الفعالية، أي من خلال قوي التأثير السببية، ما هو كائن، أي في العصر الحديث واقعي هو ما يؤثر أو ما ينتج عن تأثير.

22- subjektitat : ينحت هايدجر هذه الكلمة انطلاقاً من اللفظ اللاتيني Subjectum الذي هو ترجمة، وبالتالي حسب "هايدجر" تحريف، للكلمة الإغريقية Hupokeimenon : الجوهر التي تعنى ما هو حاضر كأساس وما يقوم من تلقاء ذاته، أما الأعراض فهي تحضر مع ما هو حاضر من تلقاء ذاته وترد دائماً معه، لكن لفظ subjectum على الرغم من أنه ترجمة حرفية للـ hupokeimenon فإنه يحرف الماهية الأصلية الإغريقية للكون. إن الـ Subjectum هو ما يوضع ويلقى به كأساس من خلال فعل وما يمكن أن تضاف إليه الأعراض. إن الـ Subjectum يلعب دور الأساس الذي يمكن أن يوضع عليه آخر. وهذا الأساس يفهم بمعنيين، أولا بمعنى الأساس الذي تقوم عليه الأعراض ويحملها، لكن حيث أن تأويل الكون في الميتافيزيقا الإغريقية يتخذ الحكم كخيط موجه، فإن الأساس يعنى ثانيا ما تحمل عليه المحمولات، وهكذا فإن الـ subjectum تعنى الجوهر في علاقة الجوهر والأعراض كما تعنى الموضوع في علاقة الموضوع والمحمول، لهذا ترجمناها بلفظ "الحامل" على أساس أن يفهم منه المعنيان. يتحاشى هايدجر في هذا السياق استعمال الكلمة المتداولة Subjektivitat لارتباطها بذاتية الوعي كما تفهم في العصر الحديث أما اللفظ Subjektitat فينحته هايدجر للتعبير عن الكون كما تم فهمه عبر تاريخ الميتافيزيقا بأكمله من idea أفلاطون إلى إرادة القوة عند نيتشه التي تكتمل فيها الماهية الحديثة الكون. إن الذاتية Subjektivitat هي إذن كيفية الـ Subjektitat كلمة Subjektitat تريد أن تؤكد أن الكون يتم فهمه في الميتافيزيقا الغربية بأكملها انطلاقا من الـ subjectum، لكن ليس بالضرورة انطلاقاً من ذاتية الأنا أو الوعي.

23- لا ماهية الإرادة هي الشكل الرديء أو السيء للإرادة، ويجب أن نتذكر أن اللاماهية تنتمي للماهية رغم ابتعادها عنها. تبلغ الإرادة لا ماهيتها القصوى في إرادة القوة التي ليست في الحقيقة حسب هايدجر سوى إرادة الإرادة، ينتمي لماهية الإرادة أنها تتجه نحو أهداف، ولكن عندما ينظر إلى ا لأهداف كمجرد وسائل لتحقيق أمر الإرادة تكون الإرادة قد بلغت لاماهيتها. وعندما تبلغ الإرادة لاماهيتها القصوى يصبح الكون مجرد قيمة. القيمة عند نيتشه هي شرط تضعه إرادة القوة للمحافظة على ذاتها وتصعيد نفوذها. الكون الميت وهم، لأنه في الحقيقة ليس هناك إلا الصيرورة، لكن هذا الوهم ضروري، لأن بفضله تستطيع الحياة أن تثبت في الصيرورة وأن تنحل فيها. إن الكون وهم ضروري لكي تحافظ إرادة القوة على ذاتها. وهو إذن مجرد قيمة.

24- Verhângnis: قضاء، قدر، لكن بمعنى يكاد يكون سلبياً ويقترب من مدلول وبال، مصيبة.

25- das Unwesen : اللاماهية تعنى هنا الشكل السيئ أوالردئ لشيء ما، لاماهية الميتافيزيقا هي الشكل الردئ للميتافيزيقا، في ميتافيزيقا إرادة القوة عند نيتشه تبلغ الميتافيزيقا لاماهيتها القصوى أي شكلها الأسوأ، إذا كانت الميتافيزيقا هي حقيقة الكائن، فإن الكائن يفقد في ميتافيزيقا إرادة القوة كل حقيقة، إذ لايبقى له كيان أو ماهية تخصه ولا ينظر إليه إلا من زاوية إرادة القوة كوسيلة لكي يُنقد أمرها.

لاماهية الميتافيزيقا هي الشكل الذي تفقد فيه الميتافيزيقا ماهيتها، الذي تصبح فيه ماهيتها أي حقيقة الكائن غائبة. لكن اللاماهية تنتمي في كل أشكالها إلى الماهية. إن لاماهية الميتافيزيقا هو شكل ينتمي للميتافيزيقا، إنه الشكل الذي يعبر عن إمكانيتها القصوى.

26- يجب أن نلاحظ هنا القرابة بين Verhângnis : قضاء وبين lassen hange أي جعل الشيء معلقاً .

27- die Zwiefalt: تعني حرفياً الثنية ، وقد ترجمناها بكلمة الاختلاف. لأن المقصود هنا هو الاختلاف بين الكون والكائن الذي يبقي منسيا في الميتافيزيقا على الرغم من أنه الأساس الذي تقوم عليه ماهيتها.

28- عندما يتم تفكير التخطي انطلاقاً من تاريخ الكون، فإنه يكون العلامة المبكرة لبدء تبدل verwingdung نسيان الكون، أي لبدء التخلص من نسيان الكون كقدر محدد للتاريخ الغربي وقدوم قدر آخر للكون يتم فيه تفكير حقيقة الكون التي ظلت منسية إلى الآن.

29- die lichtung: الانفراج أو الانفتاح، راجع شرحنا لهذا المفهوم في تقديم ترجمتنا العربية لنص "منبع الأثر الفني".

30- ليس التخطي مفكراً انطلاقاً من تاريخ الكون تفنيداً للميتافيزيقا ودحضاً لتصوراتها، بل هو إرجاع الميتافيزيقا إلى حقيقتها المنسية، هو الرجوع إلى أساس ماهيتها وبيان موضعها في تاريخ الكون، وهو بالتالي تخليص وتحرير للميتافيزيقا إلى حقيقتها.

31- إن "نيتشه" إذ يقلب الميتافيزيقا يحملها إلى إمكانيتها القصوى وبالتالي يبقى متورطاً فيها، لأن إرادة القوة التي تصبح هي المبدأ الجديد لوضع القيم تحتل مكانة العالم اللاحسي في الأفلاطونية.

32- يميز هايدجر بين التاريخ:Geschichte وعلم التاريخ histoire، تعني historie علم التاريخ أما Geschichte فتعنى أيضاً علم التاريخ كما تعنى الموضوع الذي يتناوله هذا العلم أي الأحداث والوقائع البشرية التي تنتمي للماضي، أما هايدجر فيفكر التاريخ Geschichte انطلاقاً من الكون ويعطيه طابعاً قدرياً، علم التاريخ historie لايعترف حسب هايدجر بما هو قدري، إنه يأخذ التاريخ على أنه الماضي ويفسره اعتماداً على علاقات سببية يمكن إثباتها هذا الأسلوب التقني في تفسير التاريخ على أساس العلاقات السببية هو حسب هايدجر في خدمة إرادة القوة لأنه يريد أن يتحكم ويضبط مسار كل الأشياء، هكذا يتم تحليل الوضعية التاريخية على أساس أنها منطلق وغاية كل إخضاع للكائن بمعنى تأمين علاقات الإنسان وسط الكائن. في كليته، إن علم التاريخ هو، بوعي أو بدون وعي، في خدمة البشريات لتأسيس ذاتها في الكائن حسب نظام يمكن الإحاطة به، إن علم التاريخ إذ يريد، خدمة لإرادة القوة، تفسير كل شيء وبيان تسلسل كل الأحداث ينسى طابع الكون كقدر وبالتالي التاريخ بالمعنى الأصلي.

33- الكون حسب التجربة الإغريقية المبكرة هو الـ phusis التي لم تكن تعنى الطبيعة كقطاع للكائن، بل كون الكائن ذاته، أي بزوغ الكائن وقدومه إلى مجال الحضور، خروجه إلى اللاخفاء. كان الإمساك بالـ phusis يتطلب موقفا إزاءها يختلف عنها وفي الوقت نفسه يفسحها ويجعلها تبدى. هذا الموقف هو الـ techné التي كانت تعنى عند الإغريق نوعا من المعرفة تتجسد في المهارة عند التعامل مع الكائن. لكن هذا الموقف إزاء الكائن ليس من شأنه أن يجعل الكائن يسود ويحدث، بل إنه يفرض على الكائن أن يبدو من زاويته الخاصة. لهذا،يرى هايدجر أن الـ techné لعبت دوراً حاسماً في نشأة الميتافيزيقا وفي سقوط التجربة الإغريقية المبكرة.

34- الحقيقة والفن هما القيمتان الأساسيتان لإرادة القوة، أي الشرطان الأساسيان اللذان تضعهما إرادة القوة من أجل المحافظة على ذاتها وتأمين وجودها (الحقيقة) ومن أجل تصعيد نفوذها (الفن).

35- يشير هنا "هايدجر" إلى تحليلات "كانط" ويرى كانط أن كل معرفة تقوم في التركيب بين تمثلات متعددة في وحدة، وهذا التركيب لا يمكن أن تنجزه الحساسية لأنها تكتفي بالتقبل والتلقي، بل ينجزه الفهم بفضل فعالية التفكير. وكل أشكال التركيب التي ينجزها الفهم عبر مقولاته ترجع إلى مصدر أو مبدأ على الكل تركيب، هذا المبدأ سابق على كل تركيب محدد، إنه الوحدة التركيبية الأصلية للوعي الترنسندنتالي بالذات. وهو يعنى أنه ينتمي لكل وعي وعي ممكن بالذات. يجب أن يكون من الممكن أن يرافق "الأنا أفكر" كل تمثلاتي. إن ما يسمح بالتركيب بين تمثلاتي هو "الأنا أفكر" الذي يبقى واحداً مهما كانت مضامينه. الوحدة التركيبية الأصلية للوعي الترنسندنتالي بالذات هي إذن أساس كل تفكير ومعرفة، هي النقطة العليا للمنطق من حيث إنه يهتم بالتفكير.

36- يرى "هايدجر" أن مفهوم التبرير في حركة الإصلاح الديني ومفهوم العدالة عند نيتشه" يتأسسان معا في تحول الحقيقة إلى يقين حيث تصبح الذات هي الحكم الذي يقرر بشزن ما هو حقيقي وما ليس حقيقياً. مع مارتن لوتر أصبح خلاص الإنسان متعلقاً به هو فقط. فالعبادة والإيمان يصبحان قضية خاصة بالإنسان، خاصة كل شخص في علاقته مع ضميره وقلبه، حتى علاقة الإنسان بالإله تصبح علاقة مباشرة لا تتوقف على وساطة الكنيسة، بهذا يصبح مبدأ الذاتية والحرية الفردية جانباً أساسياً في الدين. ما أقبله كحقيقي بحب ألا أستمده من أي كان، بل إن أبرره أمام ذاتي. هكذا يكون مفهوم التبرير Die Rechtfertigung أساسيا عند لوتر. ويقابل هذا المفهوم عند نيتشه مفهوم العدالة die gerechgkeit . احتفظنا بالترجمة المعتادة لهذه الكلمة، لكن ما يقصده نيتشه حسب هايدجر لا علاقة له بالعدالة. يمكن أن نفهم die Gerenchtigkeit أيضاً بمعنى أنها حالة ما هو gerecht: عادل، حق، مشروع، شرعي، ويمكن أن تتخذ انطلاقاً من ذلك معنى الشرعية والمشروعية. تضم هذه الكلمة كذلك جذر recht : الحق لكن لفظ Gerechtigkeit ليست له دلالة حقوقية أو أخلاقية عند نيتشه، وكذلك الأمر بالنسبة للفظ Recht . إن ما يقصده نيتشه

حسب هايدجر بالحق هو إرادة تكريس علاقات معينة للقوة وضمان دوامها. العدالة Gerenchtigkeit die هي إرادة وضع الحق مفهوما بهذا المعنى، هذه الإرادة هي إرادة القوة. العدالة Gerenchtigkeit die هي الاسم الميتافيزيقي لماهية الحقيقة، للكيفية التي تحدث بها لحقيقة في نهاية الميتافيزيقا، في ميتافيزيقا الذاتية اللامشروطة المكتملة لإرادة القوة تحدث الحقيقة كعدالة. إن الذاتية مفهومة هنا كذاتية لامشروطة لإرادة القوة هي التي تقرر في شأن الحقيقة، فالحقيقي هو ما يؤمن إرادة القوة ويحافظ على استمرارها، وهذا الفهم للحقيقة هو النتيجة القصوى لتحول ماهية الحقيقة إلى يقين. إن الفرد عند لوتر هو الذي يجب أن يبرر أمام ذاته ما هو حقيقي. وليس هناك خارجه أي مقياس للحقيقة، كما أن إرادة القوة عند نيتشه هي المقياس الذي يحدد ما هو حقيقي وليس هناك أي مقياس للحقيقة خارجها.

37- ليس هناك أنا قائم في ذاته AN SICH إلا من حيث إنه يظهر في ذاته IN SICH . هناك فرق بين في ذاته an sich أي في حد ذاته، كما هو قائم باستقلال عن كل ما هو اخر بالنسبة له، وبين في ذاته in sich أي كما هو داخل ذاته، أي كما يبدو في الانعكاس.

38- هذه إشارة نقدية إلى إرنست يونجر الذي اهتم هايدجر بشكل عميق بكتاباته وبتصوره للعدمية وأسلوب تخطيها. يبين يونجر في كتابه "العامل" أن العمل أصبح هو الطابع المميز لواقعية الواقعي وأن الشكل الذي يحدد العالم الحديث هو شكل العامل، إن الشكل die Gestlat حسب يونجر لا يعرف تطورا، بل إن التطور يتم داخله! فالتطور تكون له بداية ونهاية، ولادة وموت، أما الشكل فلا، كما أن شكل الإنسان كان قبل ولادته وسيبقى بعد موته، فإن كل شكل تاريخي مستقل عن الزمان وعن الأحوال التي يظهر أنه انبثق منها، إن التاريخ لا يولد أشكالا بل يتغير مع كل شكل. النقد الذي يوجهه هايدجر ليونجر هو أن تصوره للشكل يبقى قائما في إطار التفكير الميتافيزيقي، إن الشكل عند يونجر هو امتداد لـ idéa أفلاطون، والعلاقة بين الشكل وما يطبعه هي مثل العلاقة التي يحددها أفلاطون بين الـ idéa والـ me on . إن الـ idéa عند أفلاطون هي الكائن بالمعنى الحق، أما الأشياء الفردية فإنها في وجودها تحصر الـ idéa وتشوهها، لهذا يطلق عليها me on، إنها ليست عدماً محضاً، لكنها من جهة أخرى ليست كائنا بالمعنى الحق ولا يمكن أن تحقق المعنى الكامل للكائن on، وهذه حسب هايدجر هي العلاقة نفسها التي يفكرها يونجر بين الشكل البشري المحدد وبين الناس الواقعيين.

39- يحاول هايدجر أن يبين في هذه الفقرة أن مفهوم الإرادة الخالصة عند كانط يمهد لمفهوم إرادة القوة عند نيتشه التي ليست في حقيقتها سوى إرادة الإرادة بما تتضمنه من غياب الأهداف معطاة مسبقاً. الإرادة عند كانط هي القدرة على الفعل حسب قوانين. أي حسب تمثلات عامة، هذه القوانين يتم الاعتراف بها كمبادئ يجب أن تيحدد الفعل بمقتضاها. وحيث إن هذه القوانين يتم تمثلها بواسطة العقل. فإن الإرادة هي العقل العملي، والعقل العملي ليس بدوره سوى القدرة على أن نريد، إن الإرادة ليست شيئاً لا عقلياً وليس قوة عمياء. بل هي العقل نفسه من حيث إنه يحدد الفعل. يكون الفعل أخلاقياً عندما يتحدد من قبل الإرادة فقط دون أن يتأثر بالحساسية والدوافع والميول. أي عندما يتحقق حسب التشريع الذاتي للإرادة، عندما نبعد في تحديد الفعل الأخلاقي كل الميول والدوافع القادمة من التجربة، فلايبقى لتحديد الفعل الأخلاقي سوى مطابقته لصورة القانون أي لعموميته بغض النظر عن مضمون هذا القانون، لهذا فصيغة الأمر الأخلاقي تكون هي : تصرف بحيث يمكن أن تريد بأن تكون قاعدة تصرفك قانوناً عاماً. ولهذا يقول هايدجر إن الإرادة الخالصة وقانونها صوريان، ونظراً لأن الإرادة عند "كانط" لا تتحدد بأهداف معطاة مسبقاً ونظراً لأنها تستمد القانون من تشريعها الذاتي، فإن "هايدجر" يرى أن كانط يمهد لفكرة إرادة القوة التي لا تريد في الحقيقة إلا ذاتها والتي تتكشف إذن بوصفها إرادة الإرادة.

40- die seinsverlassenheit : هجران الكون، يقصد النسيان الأقصى للكون، وهجران الكون يتعلق بالكائن في كليته وليس بالإنسان كما قد يتبادر إلى الذهن. في ظل سيادة هجران الكون يبدو كما لو أن الكائن هو بدون كون. فالكون ذاته يغادر الكائن ويتركه لذاته ليصبح مجرد موضوع للتحكم والسيطرة. فالكون يختفي في تجلي الكائن. وهكذا فالإنسان في ظل هجران الكون يتعامل مع الكائن. يستعمله ويحوله، يخضعه ويسيطر عليه، لكنه لايهتم بكون الكائن كما لو كان بدون أهمية أو كما لو كان مجرد إضافة يختلفها التفكير المجرد المتمثل. وفي ظل هجران الكون يتحدد ما هو كائن انطلاقاً من فائدته واستعماله وقابليته للاستثمار.

عندما يغادر الكون الكائن يصبح هذا الأخير مجرد موضوع للتحكم والسيطرة عن طريق الحساب والتخطيط هجران الكون ليس صنيعة للإنسان، بل هو حدث أساسي في تاريخ الكون. هجران الكون ليس تحديداً سالباً، بل هو الكيفية التي يحدث بها الكون في ظل سيطرة إرادة القوة. هجران الكون هو الكيفية التي يحدث بها الكون في عصر التقنية.

41- die machenschaft: الفعلية. تشير هذه الكلمة في الاستعمال المتداول وخاصة في صيغة الجمع إلى الأفاعيل بمعنى المكائد. لكن هايدجر يعطيها معنى أنطولوجيا انطلاقاً من الفعل الذي اشتقت منه وهو machen الذي يعني : فعل، عمل، صنع، والفعلية هي تحديد لكون الكائن بمقتضاه لا يبقى الكائن يظهر إلا في ضوء الفعل والصنع ويتحدد الكائن بصفته ما هو مفعول أو مصنوع، أو ما يمكن فعله أو صنعه، ويبدو الكائن كصنيعة لفعل الإنسان. الفعلية كتحديد للكون. أو ككيفية للكون تحدد سلوك الإنسان إزاء الكائن فتدفع إلى السيطرة اللامحدودة على الكائن. والفعلية

تضع كل كائن تحت سيطرتها من حيث إنها تجعله يظهر فقط كموضوع للتخطيط والتنظيم والحساب، أي كموضوع لإرادة القوة.

42- بدل die Wetkriege التي تعنى الحروب العالمية يكتب هايدجر die Welt - kriege لكي يبين أن هذا الحروب تتعلق بالعالم في تحديده الأنطولوجي.

43- das Seiende ist wirklich als das Wirkliche : الكائن واقعي من حيث هو مرتبط بالتأثير. الترجمة الحرفية لهذه الجملة هي : الكائن واقعي من حيث هو الواقعي، ولكن هذه الترجمة الحرفية لا تظهر القرابة التي يستثمرها هايدجر بين wirklich : واقعي و wirken: أثر

44- بصدد التيهان راجع محاضرة هايدجر "في ماهية الحقيقة"

45- إرادة القوة هي الذاتية اللامشروطة المكتملة كما فكرها نيتشه في نهاية الميتافيزيقا. تسعى إرادة القوة إلى السيطرة على الكائن من أجل المحافظة على ذاتها وتصعيد نفوذها. وتبعاً لتحول ماهية الحقيقة في العصر الحديث إلى يقين يجب على إرادة القوة أن تؤمن سيطرتها على الكائن بإخضاعه للبرمجة والتخطيط والتنظيم الذي ليس له من هدف سوى استمرار نظام إرادة القوة. في ذلك يلعب الحساب دوراً حاسماً. القاعدة الأولى للحساب هي التسوية، ذلك أنه لايمكن أن نخضع للحساب إلا الأشياء المتجانسة، إن الحساب كوسيلة لإرادة القوة يشترط إلغاء الفروق بين الأشياء. بل وبين قطاعات الكائن بحيث تبدو متجانسة، وهكذا لا تبقى بينها سوى الفروق الكمية أي القابلة للحساب. وبذلك يصير من الممكن إخضاعها للبرمجة والتخطيط والتنظيم. إن الكائن يبدو في عالم إرادة القوة متجانسا لأنها لا تنظر إلى الكائن إلا كموضوع للسيطرة من زاوية استثماره في مسلسل العمل والإنتاج. هكذا تنمحي الفروق بين الكائن الحي والكائن غير الحي وينظر إلى الكائن الحي كنوع خاص من الآلات. بل أكثر من هذا، إن الإنسان ذاته يفقد تميزه وسط الكائن فيتحول هو ذاته إلى مادة خام يمكن أيضا برمجتها والتحكم فيها وتوجيهها خدمة لاستمرار النظام الذي تفرضه إرادة القوة. هكذا تظهر إمكانية تربية النسل من أجل تحسينه وإمكانية توجيه الجهاز الوراثي للإنسان.

46- كان ذلك في سنة 1942، وقبل ذلك حصل سنة 1938 على جائزة نوبل للكمياء.

47- يبين لنا هذا المثال العلاقة بين المحافظة والتصعيد في إرادة القوة وكل محافظة على الحياة تكون في خدمة تصعيد الحياة، إن تأمين مجال حيوي ليس بالنسبة للحي غاية، بل هو فقط وسيلة لتصعيد الحياة. وبالمقابل فإن الحياة التي تم تصعيدها ترفع بدورها الحاجة إلى توسيع المجال الحيوي، ولكن لا يمكن أن يتم التصعيد إذا لم تتم المحافظة على مستوى معين بحيث يكون مضموناً وقابلاً للتصعيد. إن الجموع البشرية الكبيرة تطالب بمجال حيوي أوسع لتحافظ على ذاتها. لكن هذا المجال الأوسع يتطلب بدوره جموعاً بشرية أكبر حتى يمكن إعداده، وهكذا، إن سيطرة الذاتية اللامشروطة لإرادة القوة تؤدي إلى حركة دائرية تتسم بغياب الغايات والأهداف، بحيث يبقى المهم هو المحافظة على إرادة القوة وتصعيدها بكل الوسائل ا لممكنة، حتى الغايات يتم وضعها لأجل ذلك وتفقد قيمتها عندما تستنفد إمكانياتها في المحافظة والتصعيد.

48- إن غياب التراتب الناشئ عن سيطرة إرادة القوة لا يعنى أن إرادة القوة تلغى بعدياً الفروق والتراتبات القائمة بين الكائنات فقط، بل يعني أنها لا تسمح أصلاً بأن ينشأ أي فرق أوتراتب، لأن الإرادة تفرض شكلا موحداً على كل الكائن لا يسمح له بأن يبدو إلا من زاوية إمكانية استثماره في مسلسل العمل والإنتاج وقبل كل شيء كرصيد ممكن من الطاقة.

49- der Aktualismus: النزعة الراهنة، أي النزعة التي تعمل على ربط الاهتمام بالتاريخ بالوضعية الراهنة أو الحالية der Moralismus: النزعة الأخلاقية، أي النزعة التي تهتم بالتاريخ من أجل استخلاص دروس وعبر أخلاقية منه.

50- عندما يتم فهم الكون على ضوء الفعالية die wirksamkeit والتأثير die Wirkung فإنه يتم في الوقت نفسه إغلاق الباب أمام الخصوصية أو أمام الكون كتاريخ له طابع القدر، لأن هذا الفهم لايعترف أصلاً بالقدر، بل يحاول أن يفسر كل شيء انطلاقاً من علاقات التأثير السببيي.

51- راجع بهذا الصدد تقديمنا لنص هايدجر"الطريق إلى اللغة".